صوت النساء

صحيفة شهرية تعنى بقضايا المجتمع

15 June NO 321

١٥ تموز العدد ٣٢١

2010

معاً من أجل التحرير... معاً من أجل بناء الوطن

للمرأة الفلسطينية الحق في التمتع بمعاملة مساوية للرجل داخل بيئة العمل، وحقها في التمتع بالاجازات مدفوعة الأجر، والاستحقاقات التقاعدية والضمانات الاجتماعية المؤمنة ضد البطالة أو المرض أو الشيخوخة أو غير ذلك من وأسباب العجز.

وثيقة حقوق المرأة باب الحقوق الاقتصادية والاجتماعية رقم ٤

«صوت النساء» في عيدها الثالث عشر

واحة فلسطينية نسوية وطاقة أقلام متجددة

عبد الباسط خلف

أختتمت «صوت النساء» عامها الثالث عشر، وتستعد لسنة جديدة، تُعد الصحيفة في هذه المناسبة، ما يشبه النص المفتوح، لنقل بعض تجاربها القلمية، ولتستمع إلى ردود فعل حول ما تنشره. ترى الصحافية فيليتسيا البرغوثي في الجريدة، المنبر الذي خلق أرضية جمعت أقلاماً نسوية وشابة، ناصرت قضايا المرأة والمجتمع على حد سواء. تقول: «كتبت فيها وأنا محررة لملحق «البيدر»، الذي يصدره مركز دراسات التنمية المنبثق عن جامعة بيرزيت، وفي فترات لاحقة، والذي أعيد اكتشافه مع كل عدد أطالعه، أنها تتحدث عن هواجس النساء ولهن وعنهن وبأقلامهن، وتعطي الحد الأدنى مما تستحق المرأة من صوت يعبر عنها».

تتابع البرغوثي: «انخرطت الجريدة في قضايا السياسة وشؤون المجتمع، ولم تغب عن المناسبات التي تؤكد على حقوق المرأة ونضالاتها».

تراكم

تضيف: «الذي ينقص»صوت النساء» يتلخص في عدم مراكمتها للقضايا التي تطرحها، لصالح إحداث تغيير في القوانين والسياسات، التي تُميز سلباً ضد المرأة». تنهي: «لو تفكر الصحيفة في مراكمة ما تطرحه، وتستفيد منه، قد تستطيع البداية في التأثير على صانع القرار، والسير خطوات متقدمة نحو فعل شيء». ويرى الكاتب تحسين يقين: كلما كنت أكتب في «صوت النساء»، كنت أتطور كما يتطور أي كاتب، ثم أصبحت الصحيفة مكاناً لتبادل الخبرات، ومصدراً من مصادر المعرفة في الموضوع النسوي والحقوقي والنوع الاجتماعي». يتابع: «من الطبيعي أن يقع هذا المنبر النسوي الاجتماعي في ثغرات كأية وسيلة إعلامية، لكن كونها صحيفة متخصصة، من المهم الارتقاء بها أكثر من ناحية العمق. هناك مجال للتطوير إن كان هناك إرادة، من خلال استثمار الأقلام الخبيرة في الموضوع، وليس إقصائها بطريق غير مباشر، بمبررات ليس لها مصداقية ولها ايجابياتها وضروراتها».

اقتراح

يقترح يقين التعمق بالكتابة أكثر، وتحرير المواد بمزيد من المهنية، واستكتاب الأقلام الخبيرة بشكل مهني، وتقديرها مادياً ومعنوياً، وتعميق النوع الاجتماعي في مواضيعها وتأسيس هيئة تحرير تنفيذية. ينهي: «لصوت النساء على المستوى الشخصي ذكريات طيبة، فمن خلالها تعرفنا على أصدقاء وصديقات وزملاء وزميلات، وأتمنى لها أن ترتقي أكثر فأكثر». يترقب منسق البوابة الفلسطينية لشبكة المنظمات الأهلية، حسن حمارشة، الصحيفة، ليقرأها أولاً، ثم ليعممها على الأعضاء في الشبكة.

مرجع متخصص

يقول: «صوت النساء» ملحق يطرح قضايا حساسة، ويُعد مرجعاً في مجال حقوق المرأة وتمكينها، ويتميز بتعدد أسماء كتابه، ولا تقتصر على الأقلام النسوية». يضيف حمارشة: «طرحت الصحيفة موضوعات مهمة، مثلما أظهرت الهم النسوي بشكل واضح، والأهم هو أنها وازنت بين نسويتها، ومشاركتها في الشأن الوطني». ينهي : «عكست»صوت النساء» شعارها بدقة وموضوعية، فهي بالفعل تناضل من أجل التحرير ومن أجل البناء، ولا تكتفي بهموم المرأة وقضاياها». يعتقد الباحث الحقوقي في الهيئة المستقلة لحقوق الإنسان ياسر علاونة، أن ما يميز الجريدة يكمن في طابعها التخصصي، لكنها بحاجة إلى تنوع أكثر في أسماء كتابها، وأن تفتح الفرصة لجميع الناشطات والناشطين في قضايا المرأة لإضفاء التنوع.

يقترح إجراء حوارات مع ناشطات نسويات لهن حضورهن، ويقفن في مراكز قيادية، بجانب تناول قصص نجاح وإرادة لنساء عشن في ظل ظروف قاهرة.

حقوق

يقول علاونة: «لست مع طرح القضايا النسوية بطريقة إنسانية، وإنما يجب التركيز أكثر على المنطلق الحقوقي للموضوع، فحقوق المرأة هي حقوق إنسان، وليست منة من أحد، ونصّت عليها القوانين ويجب أن تجد طريقها للتنفيذ».

يتساءل: هل المرأة العربية تطالب حقوقها من الرجل؟ وهل الرجل يتمتع بهذه الحقوق حتى يمنحها؟ وهل الرجل حر حتى يمنح الحرية. ينهي: «الرجال والنساء

التتمة صفحة 4

صوتنا

مسيرة حافلة

ثمانية عشر عاماً مرت على تأسيس طاقم شؤون المرأة، والذي حمل منذ العام ١٩٩٢ آمالاً كبيرة في إيصال المرأة إلى مواقع صنع القرار، أكان ذلك في المفاوضات، أو في المواقع الحزبية، أو في المواقع الحكومية، أو على صعيد المجالس المحلية والوطنية، أو على صعيد العمل المجتمعي. كما حمل الطاقم رسالة الدفاع عن قضايا المرأة وحقوقها من خلال عمله التعبوي على صعيد القاعدة الشعبية، ضمن مشروع تمكين المرأة الريفية، وتمكين فئة الشباب من أجل حمل القضايا النسوية والدفاع عنها. وقد رافق التعبئة المجتمعية، إعلام متمكن حمل قضايا النساء وهمومهن، كما حمل الهم الوطني والسياسي.

استخدم طاقم شؤون المرأة في حملاته التعبوية حول قضايا المرأة، قصص نجاح لنساء أحدثن فرقاً في وضعهن الشخصي والأسري، وفي مجال العمل، والأهم من ذلك، في مجتمعاتهن. هذه القصص أخذت أشكالا مختلفة، منها أفلاما وثائقية أو كتبا تسجل قصص النساء في مجالات مختلفة. وفي ذلك، أبرز الطاقم، ليس فقط القيادات النسوية على الصعيد الوطني، بل ركز على القيادات النسوية على صعيد المجتمع المحلي، وهدف الطاقم من ذلك، تسليط الضوء على صور يمكن أن تشكل نماذج ممكنة التحقيق للنساء في الريف، خاصة في المواقع غير التقليدية التي اقتصرت تاريخيا على الرجل، وتسهم في تغيير النظرة النمطية لأدوار النساء والرجال .

إن إبراز دور النساء في المجالات غير التقليدية مسألة في غاية الأهمية، فبالإضافة إلى إبراز دورها في المجال السياسي، عمل الطاقم على إبراز دورها في المجال الإبداعي. وفي هذا السياق، تم تكريم الناقدة والشاعرة والباحثة الدكتورة سلمى الجيوسي،وتم تخصيص أسبوع كامل للمرأة المبدعة، من أجل تسليط الضوء على المبدعات من كاتبات وشاعرات وفنانات عبر عرض كتبهن، أو لوحاتهن، أو عمل مسابقات تبرز مواهبهن أو إشراكهن في عمل أكبر جدارية في فلسطين تمجد المرأة، وتبرز دورها الإبداعي في الفن والأدب.

استخدم الطاقم استراتيجيات مختلفة من أجل تغيير النظرة النمطية لأدوار الرجال والنساء منها تمكين النساء من خلال التدريب على النوع الإجتماعي، ومن خلال بناء قدرات المؤسسات، خاصة القاعدية منها، على إدماج منظور النوع الإجتماعي في عملها على صعيد المؤسسة وعلى صعيد البرامج، إضافة للعمل مع صناع القرار من أجل قوانين منصفة للنساء. وربما يكون أحد أهم الإنجازات التي حققها الطاقم بالشراكة مع الإتحاد العام للمرأة الفلسطينية، والمؤسسات النسوية والحقوقية، هو الكوتا في المجالس المحلية والتشريعية والتي جاءت كتدخل ايجابي مرحلي لزيادة مشاركة المرأة في مجال ظلت بعيدة عنه. وفي ذكرى تأسيسه سيواصل الطاقم العمل على تقليص الفجوة في النوع الإجتماعي، على طريق تحقيق العدالة الإجتماعية وحق الإختيار، واستبدال علاقات القوة بعلاقات شراكة.

طاقم شؤون المرأة

إضاءات نسوية

أسيرات مع وقف التنفيذ

صلاح الدين عواد

هي ثلاثة عقود ونيف، ومضت تاركة أثرها لتحفر أخاديد قصة احتفرت بالزمن، الحال تغير مراراً وتكراراً، ومضت سنين تلو الأخرى، ولا زالت في انتظار أن تشرق شمس زوجها من جديد. أم شادي، أو زوجة الأسير فخري البرغوثي كما تحب أن تنادى، ما كلت وما ملت في نضالها اليومي المستمر، بعدما اعتقل زوجها في العام ١٩٧٨م، وحكم عليه بالسجن المؤبد، حينها لم تكن ابنة العشرين عاماً تدرك، أن الانتظار قد يطول، فغالباً ما حدثت نفسها ما هي إلا أيام قليلة أو شهوراً أو بضع سنوات حتى يعود أبو شادي بطلته، وإلى جدران بيته لا إلى جدران زنزانته كما هو حاله. أم شادي هي إحدى رهينات قيد الزمن، أسرن خارج جدران السجون الإسرائيلية، بقين بانتظار الأمل أن يفرج عن أزواجهن أو حتى إخوتهن أو أولادهن، فأم شادي دائمة الحضور في جميع الفعاليات الوطنية المناصرة للأسرى، تجدها على دوار المنارة في مدينة رام الله، وتارة أخرى أمام مقر الصليب الأحمر، ترفع صورة زوجها بفخر واعتزاز، محاولة أن تعبر عن معاناته داخل الأسر، ومرة أخرى تجدها عند المقاطعة، تطالب المسؤولين العمل الجاد بالإفراج عن زوجها، الذي امضى ما يزيد عن ٣٢ عاماً في سجون الاحتلال، متذكرة قصة المرأة المسلمة التي أسرها الروم، ونادت وامعتصماه، فأعد المعتصم جنده وفتح عموريه، ولطالما نادت عالياً أم شادي فلم تجد مجيب. طرقت كل الأبواب، فهي لا تكل، وتحاول جاهدة أن تقول للعالم زوجي هناك، يعاني من بطش السجان، وأنتم ها هنا تجلسون في مكاتبكم تتغنون بالأسرى وقضيتهم، ولكن لطالما استصرخت جميع الضمائر وهيهات لمن يستجيب. في ساعات الصباح الباكر، تشق طريقها من قرية «كوبر» باتجاه مكتب الصليب الأحمر في محافظة رام الله والبيرة، تراها واقفة هناك شاردة الذهن، تتفترس في كل من هناك بنظرات استغراب ونظرات الباحث عن مساعدة، تذهب مباشرة إلى الكاونتر حيث موظف الصليب، وتسأله بلهجة فيها أمل أن يكون التصريح قد وصل، فيجيبها الموظف بالنفي، حالها كحال الكثيرين في انتظار التصاريح، ترخي لنفسها العنان، لتجد نفسها بين حشود في مسيرة تطالب بالإفراج عن الأسرى.

٣٢ عاماً وأم شادي تحمل أعباء مضاعفة في تربية ابنيه، فعند اعتقال أبيهما كان شادي البكر لم يتجاوز الستة شهور، وهادي كان لا زال في بطنها ولم ير النور، وعندما تفتحت عيونهما على هذه الحياة، كانت تجوب في خاطرهما أسئلة كثيرة، من ولماذا وأين وكيف، كل هذه الأسئلة وغيرها حول مصير أبيهما، فكانت أم شادي تكتفي بالصمت غالباً، لتترك لهما إجابات غير واضحة.

قالت أن ولديها تشربا أنفاس والدهما، فهو البطل الأسطوري الذي كتب عنه في روايات كثيرة، فهو الذي أذاق المحتل العذابات، وهو الذي كان من أوائل من دافعوا عن شرف فلسطين، فهما سارا على نفس الدرب، وما أن قويت سواعدهما حتى اندمجا في فصائل المقاومة، فأعتقل هادي وأمضى بضع سنين في الأسر، أما شادي فقد كانت طموحاته أكبر من ذلك، فهو لم يرد أن يحتضن أباه عبر الزيارات، لم يرد لأبيه أن يستمر اعتقاله وتنقله ما بين سجن وآخر، كان حلمه ان يأسر جندياً إسرائيلياً ليبادله بأبيه وبعض من رفاقه، إلا أن ذلك لم يشأ أن يكون، وبدل ذلك أصبح شادي سجيناً مع أبيه، وبعد ما يزيد عن خمس وعشرين عاماً من القهر والبعد والحرمان، كانت ساحة سجن عسقلان حاضرة لتروي تراجيديا إنسانية، لم يعبر عنها أي فلم أو مسرحية، ولا حتى كبار المخرجين استطاعوا أن يمثلوا هذا المشهد، ولكن مشيئة الخالق هي التي كانت، فشادي دخل إلى ساحة السجن متفرساً في وجوه الحاضرين، فرأى من بعيد والده «وبحسب ما ذكر شادي لأمه، لا يدري هي ثوانٍ أو لحظات، كانت أسرع من لمح البرق، فأحتضن والده وسط انهمار دموع، في مشهد تعجز العين والكلمات عن وصفه، فكل الحاضرين وحتى السجان، لم يستطيع احتمال الموقف وإنسانيته، وكم تمنت أم شادي أن تكون حاضرة عند هذا الموقف.

أم شادي ومثلها الكثيرات هن حاضرات غائبات، أسيرات، رهينات مع وقف التنفيذ، لا ينتظرن تحقيق الكثير، إلا أن يكون فجر الحرية لأزواجهن آو أبنائهن قريب. صلاح الدين عواد: باحث في شؤون الأسرى، مدير دائرة الإعلام في نادي الأسير الفلسطيني.

إسرائيل شرّعت التعذيب ولم تفرق بين امرأة و رجل

رام الله: مرفت العمري

في السادس والعشرين من حزيران من كل عام، يحيي العالم كله اليوم العالمي المخصص لمناهضة التعذيب والعنف، من خلال التأكيد على تطبيق اتفاقية مناهضة العنف، التي وقعت في هذا التاريخ.

وإن كان هذا اليوم يخصص في العادة لمساندة ضحايا التعذيب في كل أنحاء العالم، يكون لفلسطين نصيب الأسد منه، وخاصة الأسرى في سجون الاحتلال، الذين يمارس عليهم التعذيب بشكل ممنهج مقونن، فإسرائيل الدولة الوحيدة في العالم، التي تمارس التعذيب وتقوننه حسب قوانين تسن في الكنيست وبشكل علني، التي كان أخرها قانون شاليط ضد الأسرى.

تعرف الاتفاقية الدولية التي أقرتها الجمعية العامة للأمم المتحدة لمناهضة التعذيب، بأنه «أي عمل ينتج عنه ألم أو عذاب شديد جسدياً كان أو عقلياً، يلحق عمداً بشخص ما، بقصد الحصول من هذا الشخص أو شخص ثالث على معلومات أو اعتراف على عمل ارتكبه أو يشتبه أنه ارتكبه، هو أو شخص ثالث، أو تخويفه أو إرغامه هو أو شخص ثالث».

جميع أشكال التعذيب

يقول الباحث في شؤون الأسرى والأسير المحرر راسم عبيدات، إن إسرائيل بدأت بعد الاحتلال مباشرة، بممارسة واستخدام التعذيب بأشكاله المختلفة (جسدياً ونفسياً) بحق الأسرى الفلسطينيين. ولم يكن التعذيب في أي يوم من الأيام في السجون الإسرائيلية حالة نادرة أو شاذة أو استثنائية.

وحسب المعطيات فإنه من مجموع ما دخل سجون الاحتلال وزنازينه ومراكز تحقيقه من أسرى فلسطينيين بعد الاحتلال وحتى اللحظة الراهنة (٧٥٠،٠٠٠) أسير فلسطيني، فإن ٩٨٪ تعرضوا إلى التعذيب بأشكاله المختلفة، و٨٨٪ منهم تعرضوا للتعذيب بطريقة الشبح و٦٨٪ تعرضوا للتعذيب بوضع المعتقل في ثلاجة، يوضع فيه الأسير وهو مكبل اليدين والقدمين، ويتم ضخ هواء بارد جداً من فتحة أعلى هذا المكان، بحيث تكون درجة الحرارة في الداخل منخفضة جداً وتقترب من الصفر.

ومن أساليب التحقيق الأخرى الهز العنيف، والذي ينتج عنه أحياناً وفاة المعتقل أو إصابته بذبحة صدرية، وكذلك العزل في الزنازين لفترات طويلة لضرب الحالة المعنوية والنفسية عند الأسير، والصعق بالكهرباء، والحرمان من قضاء الحاجة وتغيير الملابس الداخلية.

هذا التعذيب بحسب راسم عبيدات لم يتوقف، أدى حسب آخر المعطيات إلى استشهاد ٢٠٢ أسيراً فلسطينياً في سجون الاحتلال.

لا فرق

هذه الإجراءات لم تفرق بين أسير وأسيرة، كما يقول رئيس مركز مساعدة ضحايا العنف والتعذيب د. محمود سحويل، بل طالت النساء بمختلف أعمارهن والأطفال أيضاً.

يشير سحويل إلى أن معظم الأسيرات تعرضن للتعذيب خلال فترة اعتقالهن والتحقيق معهن، دون مراعاة لجنسهن وحالتهن الصحية.

تقول احترام الغزاونة، الباحثة من مؤسسة الضمير لرعاية الأسرى، أن الاحتلال يمارس على الأسيرات العديد من أساليب التعذيب الجسدي والنفسي، لاستدراجهن للإعتراف.

تشير الغزاونة، إلى أن وسائل التعذيب عديدة، بما في ذلك استخدام وضعيات مؤلمة، والحرمان من النوم، ولغة الشتائم والتهديدات، حيث تستخدم التكبيل والمنع من الذهاب إلى الحمام والنوم والاحتجاز في غرف العزل الضيقة والمظلمة، والتهديد باعتقال عائلاتهن.

لم تتوقف أساليب التعذيب خلال الاستجواب والتحقيق فقط، بل تمتد لجميع فترة الاعتقال، وخاصة منع الأسيرات من العلاج وعدم تقديم الوجبات اللائقة لهن، وحرمانهن من الزيارات، بالإضافة إلى حالات الاعتقال الإداري، كما تقول الباحثة احترام.

النساء يتأثرن أكثر

يعلق سحويل على ذلك قائلاً: «إسرائيل هي الكيان الوحيد في هذا العالم الذي يشرع التعذيب في قوانينه، خاصة في ظل هذه الهجمة الشرسة والخطيرة من قتل واعتقال وتهويد، والتطهير العرقي».

ونوه سحويل إلى ضرورة احترام القانون، وحقوق الإنسان في الأرض الفلسطينية، مشيراً إلى حدوث تجاوزت في هذا المجال، وهو ما تم رصده من خلال الحالات التي يقوم المركز بالتعامل معها، وتقديم المساعدة اللازمة لها بعد الإفراج.

يقول سحويل: «إن النساء أكثر تأثراً في حالات التعذيب من الرجال، وذلك لخصوصية المرأة وقدرتها على التحمل، وخاصة المعتقلات المتزوجات والامهات، اللواتي يكون للتعذيب النفسي له في فترة الاعتقال وحرمانهن من عائلاتهن الأثر الكبير.

ثلاث طالبات فلسطينيات يخترعن عصا لمساعدة المكفوفين

رام الله: عزيزة نوفل

منذ اليوم الأول لسماعهن بالمسابقة، التي تنظمها وكالة الغوث لاختيار أفضل اختراع علمي مدرسي، عمدت الطالبات بوضع الخطوط الكبرى لمشروعهن الكبير، الذي أوصلهن للفوز بالمسابقة على مستوى عالمي.

المشروع كان عصا إلكترونية للمكفوفين، تساعدهم على تفادي العقبات أثناء السير، باستخدام الأشعة تحت الحمراء، وجرس صغير للتنبيه، قامت باختراعه ثلاث طالبات فلسطينيات، من مدرسة مخيم عسكر إلى الشرق من مدينة نابلس، وهن: نور العارضة، أسيل الشعار وأسيل أبو ليل».

تقول نور العارضة: « عندما قررنا الاشتراك في المسابقة، وضعنا عدة مشاريع، من بينها عصا الكفيفين، وبعد تفكير طويل، قررنا تنفيذ هذا المشروع من منطلقات إنسانية، ولخدمة أكبر شريحة منهم».

حلمنا بالفوز

إلا أنهن لم يكن يتوقعن أن يفوز المشروع بجائزة عالمية، تؤهلن للمشاركة في أضخم معرض علمي تنظمه شركة «إنتل» للرقائق الالكترونية، في ولاية كاليفورنيا في الولايات المتحدة الأمريكية.

تقول المشرفة ومعلمة المادة جميلة خالد: «كان لدينا الأمل بالفوز، ولكن ليس اليقين، وخاصة أن مشروعنا كان ضمن ٦٣ مشروعاً تقدم من مختلف مدارس الوكالة، ومن ثم تم اختيار ثلاثة كان من ضمنهم، وهنا بدأنا نشعر أننا سنفوز». هذه الرحلة التي استمرت أشهر، تطلبت من الفتيات العمل الدائم للبحث عن المواد اللازمة لتنفيذها. العصا الالكترونية، كما تقول الطالبة نور العارضة، التي أطلق عليها اسم tec step، عبارة عن عصا خشبية جوفاء من الداخل، استعمالها بسيط جداً، حوافها غير حادة وغير مؤذية، لها يد، وتحتوي على مجسات للكفيف، الذي يستطيع أن يشعر في حاله وجود حفر أو حواجز».

الأولى من نوعها

رغم وجود العديد من العصي في الأسواق ومنذ السبعينات، إلا أن العصا المبتكرة، تتميز بكونها تحتوي على مجس أرضي، تمكن من لديه إعاقة مركبة «فقدان البصر والسمع معاً»، حيث يشعر بإنذار رجّاج في يده، بمجرد وصوله إلى منطقة فيها عثرات أو حفر، أو خلال صعود ونزول الدرج.

وتعطي العصا إنذارات صوتية مختلفة النغمات، في حالات وجود عوائق أمام الكفيف أو حفر، وهي عصا خشبية جوفاء خفيفة الوزن، لا يشكل حملها عبئاً على الكفيف، ومغلفة بشريط عاكس يلفت انتباه المركبات المسرعة.

صعوبات وفوز

من الصعوبات التي واجهت الطالبات في تنفيذ اختراعهن، هو الوصول إلى المواد اللازمة خاصة «المجسات»، غير المتوفرة بكثرة في فلسطين، تتابع: «قمنا بالسفر إلى كل المحافظات للبحث عن هذه المجسات، التي استطعنا الحصول عليها في النهاية في أحد المتاجر في رام الله». وعن الفوز الكبير الذي حصل عليه مشروعهن وتجربة المشاركة في المعرض العالمي، تقول أسيل الشعار: «كان الفوز هدية لبلدنا ومدينتنا ومدرستنا، وكان فخرنا كبيراً، وخاصة بمشاركتنا لأول مرة باسم فلسطين في معرض عالمي دولي». تتابع الشعار: «الاستفادة كانت بمختلف المستويات، وخاصة على المستوى الشخصي لنا كطالبات من مخيم، استطعن السفر والمشاركة والاحتكاك بأشخاص من مختلف الجنسيات، شعرنا بالتغير وقدرتنا على الاعتماد على النفس وتحسين لغتنا الانجليزية بشكل كبير». رغم كل الحفاوة التي حظيت بها الفتيات الثلاث، وخاصة في حضرة الأمين العام للأمم المتحدة بان كي مون، الذي استقبلهن في مقره، إلا أنهن ومشرفتهن شعرن بخيبة أمل من عدم تبني المشروع حتى الآن من قبل أي شركة أو معمل يمكن أن يساعدهن بإنتاج المشروع بشكل تجاري.

تقول المعلمة المشرفة جميلة خالد، أنهن توقعن ومن خلال العدد الكبير من زوار المعرض، والذين أبدوا اهتماماً كبيراً بمشروعهن، أن تتقدم إحدى الشركات بطلب تبني المشروع، إلا أن ذلك لم يحصل، بالرغم من أن تكلفة إنتاج العصا الواحدة تقدر بين ١٥٠ – ٢٠٠ دولار، وهو أمر بسيط إذا ما قورن بالأجهزة الإلكترونية، التي تقدم خدمات أكثر بساطة منها.

مراكز تأهيل وتدريب الفتيات في جنين خطوة على طريق اثبات الذات

جنين: سامية حمارشة

لم يعد انتظار العريس أو الوقوع بأسر المستقبل المجهول، هو الاختيار القسري الأوحد أمام فئة من الفتيات الصغيرات، اللواتي لأسباب شتى، وليست الأوضاع المادية أهمها، أجبرن على ترك المدارس، أو التسرب منها.

من هنا كانت بارقة الأمل تخطو خطوها، ومن خلال هذه الحالة الاجتماعية الملحة، والتي تقضي بايجاد حلول بديلة تماماً عن المدارس الحكومية، التي لم تستطع بعض الفتيات النهل من معينها، ومن هنا كانت فكرة انشاء الصرح التعليمي المميز، وكان انشاء مركز تدريب وتاهيل الفتيات في ربوة خلابة في حي السويطات في الجانب الشرقي من مدينة جنين، بحيث يبقى هذا المركز نبراساً ونهجاً وفرصةً مفتوحةً أمام كثير ممن حاد عنهن البلل، في حين التهبت الدنيا بالمطر.

وللحديث عن هذا المركز كان لقائي بالسيدة رحاب السعدي مديرة المركز المهني، التي قالت: «لقد تم اقامة المبنى على أرض أميريه بتمويل من الحكومة النرويجية، في العام ٢٠٠٦، بحيث يتبع هذا المركز مباشرة لوزارة الشؤون الاجتماعية، كأحد برامج الوزارة التي تعنى بتنمية الجوانب الروحية عند الإنسان الفلسطيني، وإكسابه مهنة يعتاش منها.

استقطاب الفتيات

تقوم فكرة البرنامج، على استقطاب واستيعاب بنات الأسر المشمولة بالاستفادة من خدمات الشؤون الاجتماعية، والمسجلة في سجلاتها الرسمية، واللواتي اضطررن لترك المدرسة لعدم انسجام، أو يعانين صعوبات ما في التحصيل العلمي المدرسي، وعلى أية حال هو ترك المدرسة لأي سبب كان.

يتم الالتحاق بالمركز من خلال التسجيل في المركز نفسه، أو في مديرية الشؤون الاجتماعية، للفئة العمرية ١٢ عام – ١٨ عام.

وفي كلا المكانين يتم استقبال وتسجيل الراغبات في الالتحاق بالمركز في الفترة ما بين شهر ٧–٩ من كل عام، علماً ان هناك سقفاً ليس بالإمكان تجاوزه، للعدد المسموح به، وذلك لأسباب لوجستية نأمل في تجاوزها في السنوات القادمة.

تحت راية المركز ينضوي القسمين الأوحدين، واللذين يضمان مجتمعين ٣٦ طالبة، تم تخريج ٢٨ طالبة منهن في ٢٠١٠/٦/١، تحت رعاية وكيل الوزارة السيد محمد أبو حميد، وهما قسما التجميل والحاسوب، وهما لبنة هذا الصرح التعليمي التربوي الرائد. تتلقى فيهما الطالبات المعارف والعلوم، في مدة تتراوح بين عام أو اثنين حسب مقتضيات التخصص، وحسب أمور تتعلق بالطالبة نفسها وما ترتئيه الإدارة. تخرج بعدئذ الفتيات في رفد جميل لسوق العمل، وفي شارع العمل نماذج نجاح كثيرة في كلا المجالين، فالمركز بفكرته لا يقدم حلاً بالنسبة للطالبات فحسب، يتبع المركز مباشرة لوزارة الشؤون الاجتماعية، قسم آخر خاص للشبيبة، يستقبل الفتيان تحت سن ١٦ عاماً، يتلقون تدريبات في النجارة والحدادة، مراكز تدريب وتأهيل الفتيات برنامج ثابت في جميع مديريات الشؤون الاجتماعية في مختلف المحافظات الفلسطينية.

بالنسبة للدعم المادي للمركز، تخبرنا السيدة رحاب، بأنه قد تم دعم قسم التجميل من صندوق الأمم المتحدة للسكان، إلا أن هذا الدعم غير كاف كدعم استراتيجي للمركز، الأمر ذاته ينطبق على قسم الحاسوب، الذي يعاني نقصاً كبيراً في موجودات القسم، قياساً بما هو مطلوب ومأمول منه. عندما كان ألق التخرج باد على محيى وفي مآق المتخرجين في ٢٠١٠/٦/١، طالب المتحدثون من جنين بدعم وتطوير واستحداث زوايا مهنية أخرى، على ان يكون بمقدور المركز استيعاب شرائح أخرى من فئة الفتيات، بل والنساء، ليكون هذا المركز زاوية أساسية في إثراء القيم الإنسانية ورفد سوق العمل المحلي على امتداد الوطن، وليضع بصماته ظاهرة في الصالح العام على مستوى الوطن والذات.

مزايا انسانية قيادية

السيدة رحاب تبين لنا الخطة التي دأبت على تنفيذها منذ تسلمها عملها كمديرة، فهذا المركز عماد وجوده إكساب الفتيات المنتسبات له مزايا إنسانية قيادية، تجعل من الفتاة قادرة على الوقوف والثبات وإعانة نفسها، ومن أجل ذلك عمدت إدارة المركز على التشبيك والتواصل مع أمهات الطالبات، والطالبات أنفسهن من جهة، والمؤسسات المختلفة داخل المجتمع المحلي، ولذلك على مدار العام، كانت تعقد في ذات المركز لقاءات توعوية، ثقافية في مختلف المجالات، وتدور النقاشات حثيثاً وتوجه الأسئلة المختلفة للمدربين والمدربات من قبل الأمهات والطالبات على السواء.

يهدف المركز إلى ردم الهوة تماماً بين الطالبة وأي أعباء نفسية أو اجتماعية مهما كانت، وذلك من خلال تفهم أوضاع الطالبات النفسية والاجتماعية، مما أدى إلى نقله نوعية في الأداء والانتاج الإنساني، وقد استطاعت السيدة رحاب أن تصل بمركزها إلى مستوى عال من العطاء، مستعينة بخبرتها في العمل في مجالات أخرى سابقة، ودراستها في الإرشاد النفسي، وحصولها على ماجستير في ذات التخصص، مما مكنها من الولوج داخل النفس الإنسانية للطالبات، حتى يكن لبنات فاعلات قادرات على التفاعل بإيجابية مع ذواتهن والمجتمع المحلي. فالمركز بأهدافه يعنى بتقديم دعم نفسي اجتماعي، من خلال صقل شخصية الطالبة وتنميتها، وتهيئة الظروف لتكون شخصية مقبلة محبة للحياة، ذات مبادىء صحيحة ثابتة عمادها القيم الإنسانية. فالفكرة الخلاقة للمركز تقوم على تأهيل الطالبات ورعايتهن مهنياً واجتماعياً ونفسياً وتربوياً وسلوكياً.

بقي أن نقول أن إدارة المركز نأمل بتطوير الأقسام القائمة، وإيجاد اقسام أخرى، لا سيما قاعة كبيرة للمناسبات والاجتماعات داخل المركز، وتوفير باص نقل خاص بالطالبات.

اليونيفام في زيارة خاصة

خاص لصوت النساء

شهد المركز النسوي العوجا/فصايل حدثاً هاما بتاريخ ١٣ تموز ٢٠١٠، حيث استضاف المركز كلاً من السيدة إيناس ألبردي، المديرة التنفيذية لليونيفام، والسيدة دينا عساف، المديرة الإقليمية لليونيفام، والسيد ماكسويل غيلارد نائب المنسق الخاص للأمم المتحدة/المنسق المقيم للقضايا الإغاثية للأمم المتحدة في أونْسكو، والسيدة إيفا سوريز ليوناردو، مديرة المشاريع في التعاونية الإسبانية، والسيدة علياء اليسير مديرة اليونيفام في الأراضي الفلسطينية المحتلة، والسيد حنا نخلة مدير برنامج المساواة الجندرية وتقوية المرأة ضمن برنامج الأهداف الألفية التنموية، والسيدة سهام رشيد، مديرة برامج الأهداف الألفية التنموية في اليونيفام، والسيدة روز شوملي المديرة العامة لطاقم شؤون المرأة.

تأتي هذه الزيارة ضمن برنامج زيارة للسيدة ألبردي للأراضي الفلسطينية المحتلة في الفترة ما بين ٨ -١٣ تموز ٢٠١٠. وتم اختيار المركز النسوي العوجا/فصايل كأحد المواقع التي تعمل بها منظمة اليونيفام منذ عدة سنوات في مجال تقوية النساء وتمكينهن إجتماعياً واقتصادياً وسياسياً. تضمن اللقاء عرضاً شاملاً عن العمل الذي يقوم به المركز، بدعم من اليونيفام، قدمته السيدة لبنى مساعيد، مشيرة إلى المحطات التي مر بها المركز والتحديات التي واجهته، والإنجازات التي تم تحقيقها. كما تضمن عرضاً لمشروع "التمكين السياسي حق للمرأة وليس امتيازاً" قدمته السيدة شوملي، والذي سيعمل عليه طاقم شؤون المرأة بدعم من اليونيفام، على طريق تطبيق برنامج الألفية التنموي في مجال المساواة الجندرية وتقوية النساء وتمكينهن. مركز العوجا/فصايل هو أحد المراكز التي يستهدفها الطاقم ضمن اتفاقيته مع اليونيفام لمتابعة مراكز صبايا والموسسات القاعدية في الضفة الغربية وقطاع غزة، والتي تم العمل بها بدعم من اليونيفام في المرحلة السابقة. طاقم شؤون المرأة سوف يبني على ما تم إنجازه في هذه المراكز، وسوف يعمل على سد الحاجات التي بيّنها تقرير تقدير الحاجات، الذي قامت بها منظمة اليونيفام للمرحلة السابقة. وعلى أساس هذه الاتفاقية، سوف يعمل طاقم شؤون المرأة على بناء قدرات هذه المراكز والمؤسسات القاعدية في ١٨ موقعاً من المواقع التي استهدفتها اليونيفام سابقاً، حيث سوف يتم تدريب نحو ١٠٠٠ امرأة في مجال حقوق الإنسان وحقوق المرأة والنوع الإجتماعي، بالإضافة إلى اختيار ٣٦٠ امرأة منهن لتدريب معمق في مهارات تتعلق بالقيادة التشاركية والتعبئة المجتمعية، والتحليل من منظور جندري، إضافة إلى مهارات إدماج النوع الإجتماعي وأسس الحكم الصالح في عمل هذه المؤسسات، وفي برامج وخطط المجالس المحلية. وبانتهاء البرنامج التدريبي، سوف تقوم المتدربات بالتعبئة والتوعية المجتمعية حول قضايا النساء، من خلال استخدام الأفلام والمسرح كمدخل للنقاش مع مجموعات الرجال والنساء.

تبع العرضين أسئلة من الضيوف حول التحديات التي يواجهها الأهالي بشكل عام والنساء بشكل خاص، ومدى تأثير برامج اليونيفام على حياة النساء والتحديات التي تواجههن، وتأثير المستوطنات على حياة الناس.

لماذا العوجا/فصايل

تأتي أهمية المركز النسوي العوجا/فصايل من كونه يخدم النساء في موقعين -العوجا وفصايل، وكونه يشكّل تجربة رائدة تعكس أهمية دور المجالس المحلية في تفعيل النساء وزيادة مشاركتهن في العمل العام. فقد عمل كل من رئيس مجلس محلي فصايل السيد إبراهيم عبيات ورئيس مجلس محلي العوجا السيد سليمان رومانيين، على إقناع مؤسسة جايكا اليابانية من أجل المساهمة في استكمال بناء المركز النسوي.

قرية العوجا تبعد ١٠ كم من مدينة أريحا، وتقع تحت سطح البحر ب ٢٣٠ متراً. يقارب عدد سكانها ٤٥٠٠ نسمة وهي محاطة بالمستوطنات الكولونيالية الإسرائيلية مثل جلعال، ميران، نعما، يتاف، نتيف، هاكدود وتسونيهال. وقد صنفت ٣٠١٤٧ دونماً من أرض العوجا كمنطقة عسكرية مغلقة، يمنع على الفلسطينيين دخولها، وسيجت هذه الأراضي بالأسلاك الشائكة على طول نهر الأردن. وما ينطبق على العوجا ينطبق على فصايل التي تبعد ٧ كم عنها، والتي يبلغ عدد سكانها حوالي ١٠٠٠ نسمة. يعمل حوالي ٦٠٪ من الذكور في قوة العمل في المستوطنات، أما ما تبقى منهم، فيعمل في تربية الأغنام والمواشي. ومن الجدير بالذكر أن عدداً لا بأس به من سكان العوجا وفصايل أتوا من بلدة التعامرة في منطقة بيت لحم للعمل واستقروا فيهما. تقول فاطمة العبيّات:»تزوجت وانتقلت مع زوجي إلى فصايل للبحث عن عمل، ولم نعد إلى بيت لحم».

البدايات

بدأ العمل في المركز النسوي منذ نوفمبر ٢٠٠٨، لكن العمل مع مجموعة صبايا بدأ منذ شهر آب ٢٠٠٩ من خلال مركز معا التنموي وبدعم من اليونيفام. تقول السيدة لبنى مساعيد نائبة المديرة في التعريف بالمركز وتطوره: «بدأ المركز بغرفة من القش واللبن، لكن مع جهود المجلس المحلي في العوجا وفصايل، تم بناء غرفتين ومطبخ وحمام. تحولت الغرفتان إلى مقر روضة صباحية، ومكاناً للنشاطات بعد الظهر. لكن المكان لم يكن كافياً لعدد المشاركين والمشاركات، فتم استخدام السطح، في أوقات بعد الظهر تجنباً للحرارة التي تشتد في الصيف في منطقة الأغوار». واللافت أن رئيس المجلس المحلي في بلدة فصايل هو الذي تبرع بمشروع البناء في بلدة العوجا، باعتبار أن الظروف مهيأة أكثر في بلدة العوجا، وبذلك أصبح المركز يخدم موقعين.

تقول السيدة مها نجوم مديرة المركز:»واجهنا تحفظات على حرية التنقل، لكننا استطعنا كسر الحواجز. ركزنا على حاجات النساء، ربات البيوت، الطالبات، العاملات.» وتعطي السيدة نجوم أمثلة على ما تم إنجازه مع الفئات المختلفة: «مع ربات البيوت، تم تكليف النساء بعمل وجبات غذائية مدفوعة الأجر، مما ساهم في سد الحاجة لهؤلاء النساء. أما للطالبات الجامعيات، فقد تم تنظيم دورات في مجال مهارات الحاسوب بتكلفة قليلة، الأمر الذي ساهم في حل مشكلة التنقل إلى أريحا للإلتحاق بهذه الدورات، وهذا يعني، توفير الوقت، خاصة أن الوصول إلى أريحا يتطلب المرور على الحواجز الإسرائيلية، إضافة إلى توفير كلفة المواصلات والأقساط العالية، المركز يقوم الآن بالتدريب على مهارات الحاسوب، وتقوم بعض النساء اللواتي تدربن سابقاً بتدريب غيرهن، مما يشير إلى قدرة هذا المركز على الإستمرار. كما يقوم المركز بتخصيص يوم في الأسبوع للطبابة بالتنسيق مع مراكز الصحة في أريحا.»

أما عن المرأة العاملة، تقول السيدة نجوم :»الحضانة والروضة ضروريتان للمرأة العاملة». ومن الجدير بالذكر أن معظم النساء يعملن كمدرسات، أو موظفات في الدوائر الحكومية، أو في المؤسسات الأهلية المتوفرة.

تقوم النساء بالإستفادة من مواد غير مكلفة في عمل منتج. الأكياس البلاستيكة تتحول بين أيدي النساء إلى قطع يتم الإستفادة منها وبالتالي، يأتي هذا العمل غير المألوف ليجعل من المركز النسوي مركزاً صديقاً للبيئة.

لكن هل يكفي كل ذلك لسد حاجات النساء؟ حتى الآن أنجز الكثير، ولكن معظم ما أنجز يأتي ضمن تحسين طفيف لوضع النساء، لكن ما زال المركز بحاجة إلى مزيد من الدعم، ليس فقط لتحسين أوضاع النساء، بل إلى تحسين موقع النساء في مراكز صنع القرار.

الهم النسوي ليس الهاجس الوحيد

الهم الوطني والفقر يطغيان على حياة الناس في العوجا وفصايل، والسياسة الإسرائيلية تتحكم بتفاصيل الحياة اليومية للناس بمن فيهم النساء. فمنطقة الأغوار منطقة مهمشة، ومعزولة بالمستوطنات كما يقول رئيس بلدية فصايل السيد إبراهيم عبيات. والعمال يعملون في المستوطنات بمبلغ لا يتجاوز ٦٠ شيكلاً. ورغم ينابيع المياه المتوفرة في منطقة الأغوار، إلا أن المياه تسحب للمستوطنات ويمنع السكان الفسطينيون من حفر الآبار. أزمة المياة معضلة حقيقية للسكان في المنطقة، ولأن النساء هن اللواتي يعتنين بالمنزل، فهن الأكثر تضرراً بانقطاع المياة وشحّها.

بصيص أمل

ورغم قتامة الوضع العام، إلا أن رئيس المجلس المحلي متفائل، بسبب الإهتمام الذي أبداه رئيس الوزراء من خلال زيارته مؤخراً لقرى الأغوار، وزيارة وزيرة الشؤون الإجتماعية ولقائها مع النساء. ويأمل ببدائل للعمال تغنيهم عن العمل في المستوطنات، خاصة أن الخيارات شبه معدومة في الأغوار، حيث لا توجد صناعات، والذين يعملون حالياً في المستوطنات هم مسؤولون عن أسر. وأشاد الجميع بالدعم الذي قدمه الممولون لتطوير البلدتين مثل جايكا، وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي ((UNDP، أرض الإنسان واليونيفام، لكن هناك حاجة ماسة لخلق بدائل عن العمل في المستوطنات، على طريق بناء الدولة المستقلة.

تتمة الصفحة الأولى

واحة فلسطينية نسوية وطاقة أقلام متجددة

ضحايا لعدم تطبيق القانون ولغياب المساواة وللتربية وللثقافة، وليت «صوت النساء» تأخذ ذلك في الاعتبار». وترى الصحافية ماجدة البلبيسي، أن «صوت النساء» جاءت وانطلقت في وقت لم يكن فيه أي اهتمام ملحوظ يوجه لقضايا المرأة.

عمق

تقول: «من خلال تجربتي وكتابتي في الصحيفة، منذ أكثر من عقد، استطعت نقل الهم النسوي والقضايا المجتمعية برؤية وعمق جديدين، وبخاصة في ظل عدم اهتمام الصحف المحلية اليومية بطرح الشأن النسوي، وتنحيتها جانباً لحساب القضايا السياسية التي تحظي غالباً بالاهتمام الواسع».

تضيف: «استطاعت الجريدة رفع صوت المرأة عالياً، ونقل وطرح همومها اليومية وقضاياها الحساسة، والتي كان يُفرض عليها الحظر دوماً، وتعد «تابوهات» ومحرمات اجتماعية». تتابع: «استطعت عبر «صوت النساء»، طرح قضايا العنف الجنسي، التحرش، الاغتصاب، وقضايا أخرى كان مسكوت عنها في السابق. وهكذا فتحت الجريدة الأبواب لطرح هذه القضايا بشكل معمق، وهذا وفر المجال أمام الصحف الأخرى للتعاطي مع مثل هذه القضايا. تواصل: «استطاعت «صوت النساء» التعبير عن قضايا المرأة، بمنظور وحساسية «جندرية» واضحة، عدا على أنها استقطبت أقلاماً جديدة شابة، وهذا من شأنه أن يؤسس لجيل من الصحافيين والصحافيات، القادرات على الغوص في عمق القضايا والهموم المجتمعية والنسوية، دون وجل أو خوف أو تردد. كما أتاحت فرصة أمام الصحافيات حديثات التخرج، من إيجاد فرص عمل لهن، وإن كانت غير منتظمة؛ فساهمت في تحسين أوضاعهن وتكريس سياسة الاعتماد على الذات.

تنهي البلبيسي: «صوت النساء أصبحت جزءاً من عملي الصحافي اليومي، واعتدت أن أجد مكاناً لموضوعات بعينها داخل هذه المساحة التي تتيحها لنا الجريدة، التي استطاعت أن تطرح وتنقل، بل وتعالج الكثير من القضايا المجتمعية، بل يمكن الحديث أن «صوت النساء» هو الصوت الوحيد الذي يطرح ويعالج القضايا بطريقة مختلفة، عما يطرح في الصحافة اليومية.

بعدما أصبح في كل بيت ضرة اسمها كمبيوتر

الشبكة العنكبوتية تخطف الأزواج من عش الزوجية

غزة - ماجدة البلبيسي

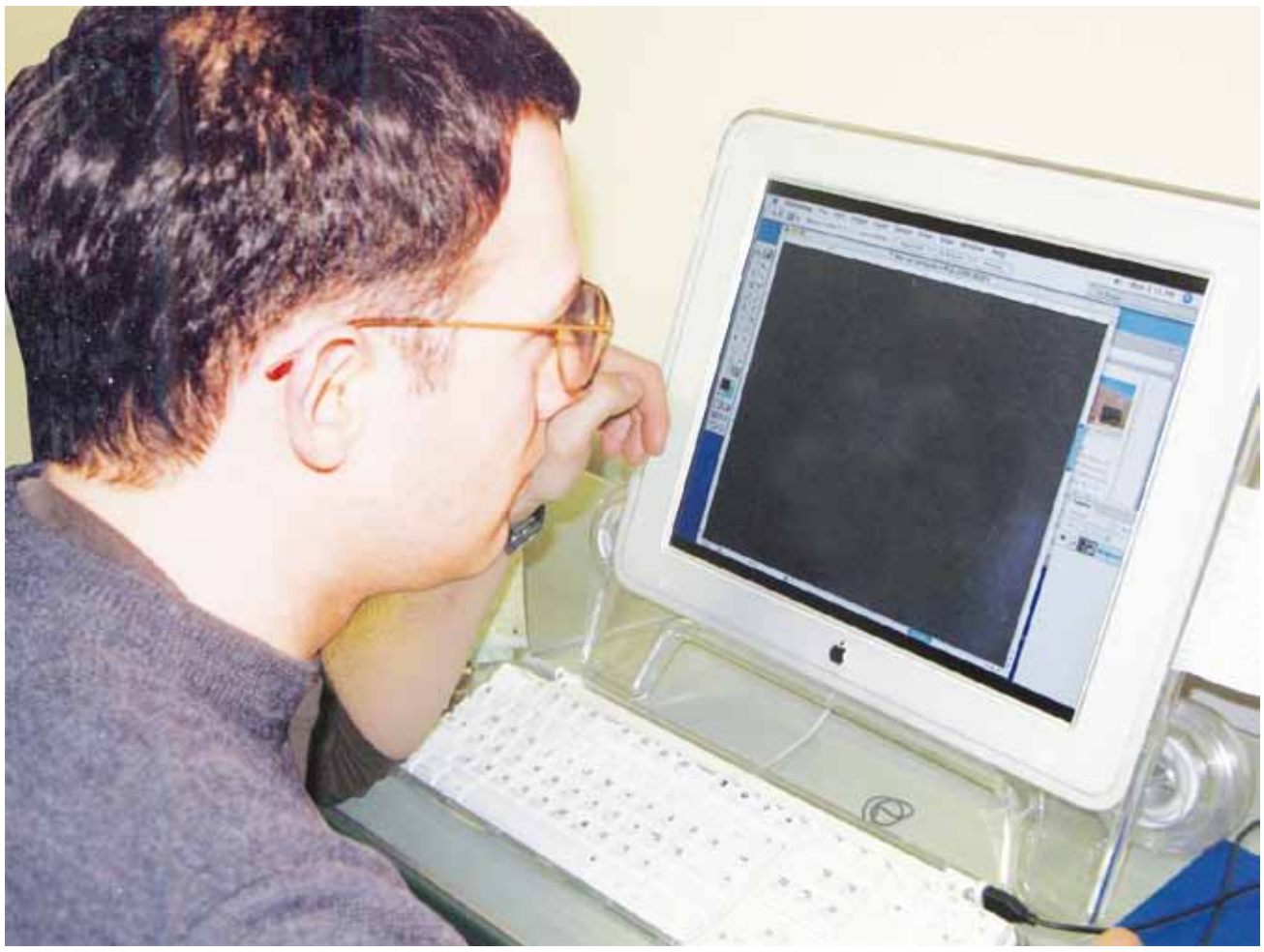

يقضي جل وقته في شقته المنعزلة عن باقي البيت، منكفئاً على جهاز الكمبيوتر، له عالمه الخاص، لا يشعر بما يدور حوله داخل الأسرة، كل همه أن يكون هناك إنترنت يسلي به وقت فراغه، بعد عودته من الخارج.

تقول الزوجة الخمسينية، التي عبرت عن استيائها من روتين حياة زوجها، الذي لا يولي أي اهتمام لأبنائه وأحفاده ولها: «كل همه أن يمكث ساعات طويلة أمام هذه الضرة، التي أصبحت تغزو بيوتنا وتنغص علينا حياتنا اليومية، حاولت الحديث معه لإبعاده عن هذه الحياة الفارغة، ولكنني فشلت، وكل محاولاتي كانت تذهب أدراج الرياح، بل أتعرض للإيذاء والاهانة ومشاكل صعب حصرها، في حالة انقطع الإنترنت من البيت».

البديل العنف

وتضيف: «أصحبت التزم الصمت، أتركه لحياته الخاصة، دون أن أكلفه بأية طلبات للأسرة، لأنني في حالة ناقشته في موضوع الإنترنت وانشغاله طول الوقت، تعرضت للعنف ومنعت من الخروج من البيت، ولكنني فضلت أن احتفظ بشي من حريتي الشخصية، حتى استطيع الخروج من البيت والمشاركة في بعض النشاطات المجتمعية والمؤسسية، وتركته وشأنه، عسى الله أن يهديه ويعود إلى رشده.

هذه حالة من العديد من الحالات، التي تضررت من ظاهرة أصبحت تغزو نسيج حياتنا الخاصة، ضرة من نوع آخر، تجلب لحياتنا الهموم والشجارات اليومية، وتجعلنا نعيش أرامل لرجال أحياء متواجدين كصور في حياتنا، وكنوع من البرستيج أو الشكل الاجتماعي فقط. هذه زوجة أخرى، قصتها لم تختلف كثيراً عن سابقتها، زوجها مغرم إلى حد الشبق بهذا الجهاز، الذي أصبح يمثل كل حياته، في النهار تبقى مشغولة في تأدية واجباتها الأسرية تجاه عائلتها وأطفالها، تقول: «يأتي الليل ليرخي سدوله، ويثقل كاهلي بآثار تعب يوم طويل، لأفيق في أواخر الليل وأجده يمارس العلاقة الجنسية مع هذا الجماد المتواجد في البيت، ذهلت مما شاهدت وصعقت من حجم الصدمة التي وقعت عليّ، كيف لزوجي أن يمارس هذه العلاقة في ظل وجودي في حياته، والعلاقة الشرعية متوفرة لديه، ولماذا يلجأ لهذه الطرق الرخيصة في إشباع رغباته، أسئلة كثيرة دارت في خلدي ولم أجد لها إجابات شافية حتى اللحظة».

وتضيف وهي حانقة على التكنولوجيا، التي غزت بيوتنا، وللأسف أسأنا استخدامها إلى أبعد الحدود، وأصبحت تقاسمنا حياتنا الزوجية والخاصة: «لا أدري ماذا أفعل ولمن أشتكي، وهل من الممكن أن أجد من يستمع إلى شكواي، التي تعتبر من وجه النظر المجتمعية غير منطقية ومقبولة لطلب الانفصال».

زوجات حديثات الزواج، أصبحن يعانين من هذه الظاهرة، ومن هجرة أزواجهن لفراش الزوجية، والاستعاضة عنه بالجلوس ساعات طويلة على الانترنت، أبدين غضبهن ورفضهن لهذا الجفاء المبكر للعلاقات الزوجية، أو ما أسمينه «البرود»، فهنا قصة وهناك حكاية من زوجات جميلات للغاية، اشتكين من هجرة أزواجهن لفراش الزوجية بعد أيام من الزواج، وأصبح جل أوقات أزواجهن يقضونه ليس في البيت الثاني، ولكن في نفس البيت مع ضره من طراز جديد لم تعهده من قبل، ضرة أفسدت عليهن حياتهن وسعادتهن وجعلتهن وكأنهن دمى تتحرك فقط، بلا روح كي تستمر عجلة الحياة.

الفراغ أحد الأسباب

وحول التبرير الاجتماعي لهذا الغزو المعلوماتي، قالت الأخصائية الاجتماعية هدى جودة: «لقد أصبح الإنترنت أكثر انتشاراً بين الناس، وخاصة في الآونة الأخيرة، بسبب الفراغ الذي يعاني منه المواطن الفلسطيني، حيث شغل الشباب والأزواج والأخوة، بسبب انتشار البطالة والوضع السياسي والاجتماعي والاقتصادي المتردي داخل القطاع الغزي».

وتضيف: «ومع تزايد سرعة التطور التكنولوجي وانتشار الإنترنت، الذي أصبح في كل بيت وفي متناول كل يد، سواء كان طفلاً أو شاباً، وبدأ يغزو ويطال أيادي المتزوجين، حتى أصبح من أولى اهتمامات وأولويات المتزوجين، حيث يقضون معظم يومهم وهم يتصفحون ويقرأون ويشاهدون كل شي بلا استثناء، ومنهم من أصبح يشاهد فقط المواقع الإباحية لإثارة غرائزه وإشباع حاجاته، حتى أصبح يقضي ليله ونهاره على الإنترنت ونسي أن الليل سكون وراحة، والنهار للحياة والعمل، كل ذلك أثر على العلاقات الزوجية والأسرية».

وتتابع جودة: «أصبح الرجل يتصفح ويشاهد، وكذلك المرأة، ويرغب في أن يطبق ما يشاهده في هذه المواقع الإباحية على نفسه، وبدأ يفكر فيها ليحقق إشباعه ورغباته الذاتية، مما أدى إلى تدهور القيم والمنظومة الاجتماعية، وظهور حالات الانحلال الأخلاقي والطلاق، فقد بدأ الإنترنت يسحب البساط من تحت أقدام الزوجين، ليس هذا فقط، وإنما يطال ذلك أبناءهم».

وأوضحت أن المشاهدة المستمرة، ومحاولات تطبيق ما يشاهد عبر شاشات النت، أثر بشكل سلبي على مجمل العلاقات الزوجية، وأصابها بالفتور، بسبب هذا التقليد الأعمى، وامتد هذا الدمار والتدمير ليطال الأسرة بأكملها، وساهم في تشتيتها.

نصائح

وقدمت جودة جملة من النصائح، لتجنيب الأسرة هذا الوباء الاجتماعي، الذي غزا حياتنا، من خلال تكثيف حلقات التوعية والتثقيف حول مخاطر التكنولوجيا الحديثة، والطرق السليمة للتعامل معها، واستثمار ايجابياتها، والبعد عن سلبياتها، مشددة في ذات الوقت على دور الأسرة، خاصة الوالدين، في توجيه أبنائهم حول مخاطر ومحاسن الإنترنت، وتحصينهم بالقيم الإيجابية، والقدوة الحسنة والمبادئ القويمة.

مشرف الصحة النفسية أحمد عوض، أشار إلى أن الغزو التكنولوجي والثورة المعلوماتية، التي انتشرت بشكل واسع، وانتشار برامج المحادثة مثل الفيس بوك والماسنجر وغيرها من المواقع المفتوحة، التي تعد جزءاً من التغير التكنولوجي، ساهمت في بروز العديد من المشكلات الاجتماعية، وأثرت على العلاقات الزوجية بين الزوجين، وأحدثت نوعاً من الفجوة والبرود العاطفي.

وأوضح أن الإنترنت، يختلف عن الفضائيات، كون الأخيرة أن الشخص يكون متلقياً فقط، على عكس المواقع الألكترونية، حيث يكون فيها الشخص مشاركاً، ويقيم علاقات تواصل خارج حدود المكان عبر الكاميرات، التي تمكن الشخص من رؤية الآخرين في أماكن أخرى.

وعزا قضاء جل الرجال لأوقاتهم على الإنترنت، إلى الظروف النفسية والضغوطات التي يتعرضون لها، الفراغ، الحصار والانقسام والكثافة السكانية وسوء الأوضاع الاقتصادية وسوء التواصل الاجتماعي، في ظل أزمة الكهرباء، والتي أحدثت نوعاً من التوتر النفسي والاجتماعي لدي فئة الراشدين والمراهقين على حد سواء، وكان جهاز الحاسوب هو المكان الذي يلقي فيه الإنسان همومه، ويهرب من مواجهة مشكلاته ومعاناته اليومية حسب اعتقاده.

ويتابع عوض في ذات السياق: «أن الرجال يجدون متنفسهم وضالتهم في تبديد أوقات فراغهم، من خلال الجلوس خلف هذا الجهاز، إما للهروب من المشكلات أو التسلية وقضاء أوقات الفراغ، ويعد وسيلة جديدة ومتوفرة للتخلص من متاعبه».

يعمق المشكلات

وبين عوض أن الهروب إلى جهاز الحاسوب، سوف يعمق من المشكلات الاجتماعية ولن يحاصرها، عدا عن تأثيرهاعلى العلاقات الزوجية، خاصة، وأن الرجل يقضي جل وقته في الليل مع هذا الجهاز، وما يترتب على ذلك من إهمال واجباتهم العائلية والاجتماعية، ما يفاقم من المعاناة ويخلق فجوات بين الأزواج.

وينوه عوض بأن هناك العديد من النساء، اللواتي يعانين من ضغوطات اجتماعية وقيود في عملية التواصل الاجتماعي، يستخدمن جهاز الحاسوب رغبة في التواصل مع العالم الخارجي، وقد تقيم علاقات عبر شبكة الإنترنت خارج نطاق الحياة الزوجية، ولكن هذه الظاهرة منتشرة لدي السواد الأعظم من الرجال.

واستعرض جملة من الآثار الناجمة عن سوء استخدام التكنولوجيا، وتوظيفها بشكل سليم، ومنها الخلافات الزوجية، العنف والفجوة العاطفية بين الأزواج والبرود، القسوة على الأبناء، وقد تصل إلى حد الخيانة الزوجية والطلاق.

وأسدى عوض عدة نصائح، كي لا نقع في شرك سوء استخدام التكنولوجيا، وفي مقدمتها استغلال وقت الفراغ، وإدارة الوقت بشكل جيد، مواجهة المشكلات وعدم الهروب منها، الحوار البناء بين الزوجين في معالجة المشكلات، تعزيز الثقة بين الزوجين والاحترام المتبادل، تفعيل جهاز الرقابة الذاتية، ترسيخ القيم الايجابية والتمسك بها، التي تعتبر ضابطاً ومتحكماً ذاتياً في السلوك.

واختتم عوض حديثه بالقول: «لا نستطيع أن نجزم بأن التكنولوجيا حملت لنا السلبيات، ولكنها أيضاً حملت العديد من الإيجابيات في ربطنا بالعالم الخارجي، والتبادل الثقافي والتواصل الاجتماعي، خاصة بالنسبة للشعب الفلسطيني المحاصر، ولكن الخلل يكمن في سوء استخدام هذه التكنولوجيا».

إحدى الناشطات المجتمعيات قالت: «هناك توجه من قبل شريحة كبيرة من النساء لتعلم الحاسوب، رغم أنهن غير متعلمات، كنوع من الفضول، يمكنهن من متابعة ومراقبة ازوجهن، والتعامل معهم بنوع من الندية.

الإعلام النسوي حشد المجتمع الفلسطيني لينصف النساء

ضد الصمت ١٢ عاماً و١٧ إنجازاً قانونياً من أجل المرأة الفلسطينية

ميساء الأحمد وأمل جمعه

كونوا مع المرأة، هذا الشعار والنداء حمل الاسم الأول للبرنامج النسوي الأوسع انتشاراً والأكثر تأثيراً لمصلحة المرأة الفلسطينية في الأراضي المحتلة، والذي حمل فيما بعد اسمه الأشهر «ضد الصمت»، ففي يوم السبت السابع من حزيران عام ١٩٩٧، انطلقت أصداء برنامج «كونوا مع المرأة»، على صوت فلسطين ليكون إنتاجاً إعلامياً من إنتاج طاقم شؤون المرأة، ومع مرور السنين، وفي هذه الأيام يحتفل هذا البرنامج الإذاعي بانطلاقته الثانية عشرة، ولكن تحت مسمى برنامج «ضد الصمت»، ليكون البرنامج الإذاعي الأسبوعي، الذي يبث عبر أثير إذاعة فلسطين الرسمية كل ثلاثاء، هذا البرنامج حقق من النجاح الشيء الكثير للمرأة الفلسطينية على وجه الخصوص، وللمجتمع الفلسطيني على وجه العموم، كما أنه رسم خطوط انطلاقته الأولى، وحدد أهدافه منذ البدايات، ليكون صوت المرأة الفلسطينية العربية، والذي ينادي بحقوق متساوية للنساء، ويبحث في هموم المرأة الفلسطينية وطموحاتها، في ظل الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية غير المستقرة، ومدى إمكانية ايصال هذا الصوت إلى صناع القرار في كل مكان.

كونوا مع المرأة مساحة من التواصل بين النساء والمجتمع، ومحاولة جادة لتسليط الضوء على وضع المرأة، من خلال: رصد شامل لهمومها ومشاكلها، كونوا مع المرأة نافذة نفتحها على تطلعات المرأة وطموحاتها نحو الحرية والمساواة والديموقراطية، بهذه الكلمات وبصوت نسائي، افتتح برنامج ضد الصمت حلقته الإذاعية الاحتفالية، لينطلق فيما بعد صوت الفلسطينية الإعلامية أمل جمعه، مقدمة برنامج ضد الصمت، للتعريف بضيوف البرنامج السيدة سهير عزوني مديرة طاقم شؤون المرأة سابقاً، والإعلامية حليمة فرحات الصوت الإذاعي، والتي قدمت أولى البرامج النسوية على أثير فلسطين، والسيد خليل شاهين الإعلامي الفلسطيني.

تكمن التساؤلات دائماً في مدى إمكانية البرنامج الالتزام بأهداف انطلاقته الأولى؟ وهل حقاً حقق البرنامج شيئاً للمرأة الفلسطينية العربية؟ وهل كان برنامج ضد الصمت الأداة القادرة على كسر حاجز الصمت في الوسط النسوي؟! والإجابة الأنجع لهذه التساؤلات، تتضح من خلال هذا البرنامج، الذي كان محاولة جديدة من قبل عدد كبير من أعضاء طاقم شؤون المرأة، حيث أن البرنامج حقق النجاح من خلال قدرته الحديث عن المرأة، وهمومها، ومشاكلها في ظل هذه الظروف الصعبة، سواء على الصعيد الاجتماعي، أو السياسي، ووجود العديد من العراقيل التي يضعها الاحتلال، ومحاولة الوصول إلى المسؤولين من أجل محاولة التغيير، وكان الإنجاز واضحاً من خلال استمرارية البرنامج على مدى سنواته الطويلة، حيث استطاع «ضد الصمت» تحقيق بعض الأهداف والتطلعات، وكما صرحت السيدة عزوني أن البرنامج حقق ١٧ إنجازاً قانونياً، إضافة إلى برامج إعلامية أخرى للطاقم.

إنجازات أخرى

وعند إلقاء نظرة تأملية على إنجازات طاقم شؤون المرأة، نجد إضافة إلى برنامج «ضد الصمت»، الذي يبث على صوت فلسطين، وجريدة نسوية تحت مسمى «صوت النساء»، وكان لهذين الإنجازين الفضل الكبير أيضاً، بإضافة الشيء الجديد لقضية المرأة الفلسطينية، والحديث عنها من منظور واسع يشمل جميع مناحي الحياة، ومحاولة الإلمام بجميع الأمور التي تهم المرأة الفلسطينية: حاضرها ومستقبلها، ولا ننسى تاريخ هذه المرأة المناضلة على مر السنين. وكان لبرنامج «نساء رائدات» من إعداد الإعلامية حليمة فرحات، أيضا الدور الكبير في رصد الأضواء على قضايا المرأة، وذلك من خلال البدء بالحديث عن النساء العربيات العالميات، ليضيق نطاق الحديث وينتقل للتركيز على النساء الفلسطينيات، ليس فقط من خلال المراجع والكتب، وإنما بالتركيز على الميدان والواقع الحي، وكان هذا البرنامج دائماً في حالة قولبة، من أجل مناسبة الظروف الاجتماعية والدينية في مجتمعنا الفلسطيني، حيث تمكن البرنامج من توثيق تاريخ للنساء ولشخصيات معروفة أو شخصيات مخفية، بحاجة لأن نبرزها من خلال تأريخ الصوت، وبالأخص لأن الغالبية من شعبنا الفلسطيني مستمع وغير قارئ، وسعى هذا البرنامج للحفاظ على هذا التاريخ وحمايته؛ لأن التاريخ الإعلامي يدمر بفعل الظروف الصعبة.

الملف الإعلامي النسوي

الملف النسوي ملف مهم جداً، وقضية المرأة قضية مجتمعية وليست قضية فردية شخصية، ولهذه البرامج الإعلامية النسوية كبرنامج «ضد الصمت»، قيمة معينة ورسالة مهمة وهادفة ودعوة لتوعية الجمهور الفلسطيني، وهذه الرسالة تهدف إلى رفع مستوى هذه القضية على جميع الأصعدة المجتمعية في فلسطين، وجعل قضية المرأة قضية إعلامية. وعند الحديث عن الملف النسوي، نجده بالملف الشائك والمعقد، الذي يستهدف جميع الفئات النسوية، من النساء الأكاديميات إلى ربات البيوت، واللواتي يسعين للوصول إلى رأس الهرم في صنع القرار، ومن الأمثلة على النساء صانعات القرار كما ذكرت السيدة فرحات: المرأة الفلسطينية فاطمة أبو الهدى، رائدة من رائدات جيش الإنقاذ (الممرضات)، اللواتي انخرطن في جيش الإنقاذ سنة ١٩٤٧.

وعند الحديث عن صنع القرار، قررت العمل مع الرجال في الجيش من أجل الوطن. ويعد أيضاً الملف النسوي ملفاً شائكاً، وذلك لوجود شح في الإعلاميين الذي يعملون في مثل هذه المواضيع، حيث تحمل النساء والإعلاميات على كاهلهن هذه القضية، والمطلوب هنا من المؤسسات الإعلامية، العمل على تدريب الإعلاميين ذكوراً وإناثاً، للخوض في مثل هذه القضايا، والتأثير على المؤسسات الإعلامية، من أجل جعل قضية المرأة جزءاً من القضية الإعلامية الثابتة، وإعادة بناء المؤسسات الإعلامية، التي تفتح المجال لمثل هذه القضايا.

الصعوبات والتحديات

مع أن التجربة الإعلامية الفلسطينية تجربة قديمة إلى حد ما، بدأت قبل عام ١٩٣٦ بالصحف والمجلات، وتطورت إلى الإذاعات والمحطات التلفزيونية، إلا أن هذه التجربة واجهت من الصعوبات والمعيقات الشيء الكثير والكثير، وكان للاحتلال الدور الأكبر في ذلك، إضافة إلى الظروف الصعبة، الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسة، في الوقت الحالي وحالة الانقسام في الشارع الفلسطيني، والتي أثرت كثيراً على الوضع الراهن، ومن المشكلات والصعوبات التي واجهتها البرامج الإعلامية النسوية: مشكلة التمويل، فمثلا برنامج «نساء رائدات»، واجه كثيراً من الصعوبات في بداياته، نتيجة شح التمويل، وأيضاً مشكلة الأرشفة، التي لها دور مهم كمرجع للجيل القادم، وهي حجر الأساس للتأريخ الفلسطيني الإعلامي النسوي والمجتمعي، وفي مرحلة الانقلاب الفلسطيني الفلسطيني، تعرض صوت فلسطين في غزة للتدمير، وأحرقت الإذاعة، مما أدى إلى تدمير جزء كبير من الأرشيف، وحرق الذاكرة الإعلامية الفلسطينية، من الصعوبات أيضاً مشكلة الانقطاع القسري عن العمل، الذي يواجه الإعلاميين الفلسطينيين، حيث قالت الإعلامية فرحات، أن الانقطاع يعني تدمير لعقلية الإعلامي، خاصة إذا كان الانقطاع قسرياً، ومن الصعوبات والمعيقات الأخرى، التي تحدث عنها السيد شاهين مشكلة التقييم، حيث تعاني هيئات التحرير من عقم على مستوى الرقابة والمتابعة، وأوضح شاهين أن الإعلام تعامل مع المرأة ككونها احتياطياً، مما أدى إلى تكريس صورة نمطية للمرأة الفلسطينية. والمطلوب هنا من المؤسسات الإعلامية الفلسطينية مواجهة هذه الصعوبات، وتحدي الواقع الصعب الذي يواجه القضايا الإعلامية الفلسطينية على وجه العموم، وقضية المرأة الفلسطينية على وجه الخصوص، من خلال محاولة إعادة بناء المؤسسات الإعلامية، وتسليط الضوء على القضايا النسوية، ومحاولة تصويب الأخطاء، من خلال عمليات التقييم، ووجود مستوى رصد لصورة المرأة من خلال الواقع، وإيجاد مستوى أول من خطة استراتيجية نحو إعلام موجه للمرأة، وقدرة البيئة القانونية على توفير الحماية للمرأة والإعلاميين.

ضد الصمت... طموحات مستقبلية

القدرة على النجاح التي حققها برنامج ضد الصمت، كتجربة حقيقية وواضحة، كانت من خلال العمل الجماعي، والنظرة الواعية نحو أهمية المرأة ودورها في هذا المجتمع، من خلال التضامن بين أعضاء وفريق الإعداد والعمل، وكما أوضحت السيدة عزوني، أنه يجب العمل كحلفاء استراتيجيين من أجل الوصول إلى هدف استراتيجي، تمكن ضد الصمت من دق ناقوس الخطر، الذي كان يهدد المرأة الفلسطينية لينتشلها من الصمت، الذي كان يخيم على همومها ومشاكلها وتطلعاتها، ويُسمع صوتها إلى العالم وصناع القرار، من خلال رشاقة الأداء والشغف لإنجاح هذه القضية الهامة، وليكون ضد الصمت تجربة ونموذج مصغر عن المجتمع الفلسطيني، الذي يجب أن يتحد ناسياً الخلافات الداخلية.

الإعلام النسوي بحث عن تفاصيل المرأة في الإعلام والمجتمع

توفيق العيسى

يمر المشهد من أمامك مؤلماً، يزداد كلما غرقت في التفاصيل، نسوة يبكين وعويل، رائحة الفجيعة تملأ المكان وتطغى على نشرات الأخبار، هذا هو المشهد اليومي والخبر اليومي، قلب المحطات وابحث عن مشهد آخر في فوضى الإعلانات، توقف لحظة، أعد الشريط، لنرى المشهد مرة أخرى، نعم هنا، سجل هذا المشهد، دقق في التفاصيل، «الصورة تغيرت»، قالت الباحثة الإعلامية في مركز تطوير الإعلام في جامعة بير زيت ريم عبدالحميد: «لم تعد صورة المرأة والمرأة الفلسطينية خاصة هي الصورة النمطية في الإعلام، وذلك ناتج عن دورها السياسي والإجتماعي، إلا أن الإعلام لم يكن منصفاً تماماً في تعاطيه مع المرأة وقضاياها، فكان لا بد من وجود إعلام نسوي متخصص، منصف للدور المجتمعي الذي تضطلع به، وتزامن ذلك مع وجود منظمات أهلية مهتمة بقضايا المرأة، ومن هنا كانت بداية الإعلام النسوي المتخصص».

وعلى الرغم من حداثة التجربة المتخصصة في فلسطين، إلا أن اقبال المرأة على العمل الإعلامي ليس حديثاً، ويعود تاريخه إلى ثلاثينيات القرن الماضي، وكانت فلسطين هي السباقة في دخول المرأة إلى مجال الإعلام، فأول مذيعة وأول مصورة فوتوغرافية في العالم العربي، كانتا فلسطينيتين، كما ظهر عدد من كاتبات المقال في الصحف اليومية، وإن كان عدد منهن بأسماء مستعارة.

وترى ريم «بأن الإعلام المتخصص خلق فضاءً واسعاً للمراة في التعبير عن قضاياها ومشاكلها، فالإعلام المتخصص يناقش ما لا يناقش في الإعلام، كما أنه إعلام دائم، ليس موسمياً أو مزاجياً، فهو مرهون بخطة عمل».

المراسلة التلفزيونية والمدربة الإعلامية «أماني أبو هنطش»، أضافت على ما ذكر، بأن الدور الذي يلعبه الإعلام النسوي في نقاش التفاصيل، أضفى بعداً آخراً للمضمون الإعلامي، الذي عملت على تفكيكه ومعرفة جوانبه بشكل أوسع، ملقيا الضوء على هذه الجوانب، مما أضاف للإعلام الفلسطيني مدرسة إعلامية جديدة».

الإنتصار لقضايا المرأة والتركيز إعلامياً على هذه القضايا، جهد تكاملي بين الإعلام النسوي والمؤسسات الإعلامية الأخرى، وهو جهد يضاف للإعلاميات العاملات في أي مؤسسة إعلامية، فتكامل الدور يتأتى عبر منهجية العمل للنساء العاملات في هذا الحقل، لإعلاء صوت المرأة وقضاياها المطلبية، كما حدثتنا أماني أبو هنطش، فكان للمدرسة الجديدة انعكاس نسبي على واقع الصحافة الفلسطينية، من خلال الصحافيات اللواتي يمارسن ذات الدور للإعلام النسوي، ولكن في مؤسساتهن، ومثالاً على ذلك، «أستطيع كإعلامية نقل مشاعر أم الشهيد وكل ما يعتمل في نفسها أكثر من الرجل، دون التقليل من أهمية عمل الرجال في هذا المجال، فنقلي للخبر يمتزج بمشاعر الأمومة، وبذلك أكون مطلة على المشهد أكثر من الرجل» أما ريم عبدالحميد فتقول: «اذا اعتبرنا وجود إعلام نسوي خطوة مهمة وضرورية، إلا أنها تكتمل من خلال دمج المرأة في العمل الإعلامي عامة، والدمج لا يقتصر على الموضوعة الإعلامية فحسب، ولكن في ترؤس المرأة للعمل الإعلامي، وتساويها في الأجر مع الرجل، وهذا لا يلغي دور الإعلام المتخصص».

ناشطات نسويات يكملن دورهن

وزيرات لخدمة قضايا المرأة وتمكينها

رام الله: خاص صوت النساء

سنوات من العمل النسوي الجماهيري، أهلتهن ليشغلن مناصبهن في الحكومة الحالية، من قلب الحركة النسوية وأجسامها المختلفة وبالتحديد من طاقم شؤون المرأة، خرجن وزيرات وصانعات قرار. وزيرة الثقافة سهام البرغوثي ووزيرة شؤون المرأة ربيحة ذياب، تاريخ عريق من العمل النسوي، الذي توج في مناصبهن الحالية، ليكون امتحان تحقيق المطالب التي حملنها لسنوات لصناع القرار. بالرغم من أهمية المنصب الوزاري، إلا أن تجربة العمل الجماهيري النسوي أثرت كثيرا على عملهن الحالي، وقدرتهن على التفاعل والإبداع وتقديم الملائم والأصلح للمرأة وحقوقها.

تجربتنا أثرتنا ودعمتنا

تقول وزيرة الثقافة سهام البرغوثي: «عملنا النسوي كان له بعداً سياسياً، بمعنى قيامنا بدور نسوي كان استناداً بالدور السياسي، ولكن من عمل وخبر العمل الجماهيري، كان له تجربته الخاصة، وقدرة ومعرفة وتقدير وتلمس لقضايا المرأة، وترجمته بموقع صنع القرار، إلى برامج للدفاع عن هذه القضايا، وأخذ بعين الاعتبار حصة المرأة في القطاعات المختلفة».

تتابع البرغوثي: «تجربة العمل النسوي جعلت قدرتنا على الدفاع عن هذه القضايا، وإحداث تغير ونقله نوعية ومشاركة أوسع في مراكز صنع القرار، والتجربة الطويلة والمحطات المختلفة، وكوننا من أسس الحركة النسوية، التي لها أبعادها الوطنية، سلحنا بقضايا البعد الحقوقي والقانوني والتنموي لكافة القضايا، التي لم تكن جديدة علينا». بحسب البرغوثي، كل ذلك تم تجنيده من خلال برامج الوزارة، وقياس مدى مساهمتها في جسر الهوة بين النساء والرجال في المجتمع، «مستندين على معرفة الواقع، تحليل الواقع والسعي إلى التغيير». وزيرة المرأة لم تكن بعيدة عن هذا الرأي، وأكدت أهمية العمل الجماهيري في إثراء عملها في منصبها كوزيرة: «أعتقد أن هذا المنصب أعطى تجربة هائلة ومهمة، ودفعة لكل من يسعى لنكون في الشراكة وصناعة القرار، والقدرة على تشبيك القضايا وتحديد العمل في الميدان».

تابعت: إن قدرة المتابعة تصبح أفضل بالعمل النسوي، ونحن نتحدث عن عشرات السنوات من العمل المتواصل، لتحقيق الحقوق التي نسعى إليها، وحتى

في مجلس الوزراء، وخلال الجلسات يتم طرح القضايا بطريقة عفوية دون تنسيق فيما بيننا، هناك فهم مشترك من قبل القيادات النسوية».

لكل ذلك، تعتبر ذياب أن الأمر لم يكن ليكون بالطريقة التي تدار بها القضايا الآن من قبلهن في الوزارة، فهناك قدرة على تلمس القضايا وطرحها على مجلس الوزراء، فالوزيرة التي كانت تعمل في الميدان للمطالبة بحقوق النساء وتمكينهن، الآن هي في موقع صنع القرار، الذي يمكنها من طرح القضايا على أعلى مستوى.

تعتقد ذياب أن هناك قدرة على المتابعة ودعم الأمور بطريقة أكثر من مجرد امرأة لها قدرة على العمل النسوي، لأن تجربة عشرات السنوات من العمل المتواصل لتحقيق أهداف المرأة، وتمكينها لتصبح بمواقع صنع القرار المختلفة، تنعكس على القدرة على إدارة الأمور. تواصل: «هذا يعطي دفعة، ونحن في مجلس الوزراء، يستطيع أي مراقب أن يدرك أن كثير من القضايا ندافع عنها نحن الوزيرات، دون ان يكون هناك تنسيق، بسبب وجود فهم مشترك بين القيادات النسوية التي كانت تعمل على الأرض، وعلى تواصل مع النساء بشكل عام». لا تنكر ذياب أن ذلك خلق لوبياً ضاغطاً في قلب الحكومة: «نعم نحن نشكل لوبياً حين طرح المشاريع، لأننا من العمل الميداني ونعرف بالضبط ما تريده المرأة».

ما ينقص الحركة النسوية

بعد خوض التجربتين، ترى الوزيرة البرغوثي أن تجربتها كوزيرة، جعلتها تسلط الضوء على قضايا لم تكن أولوية خلال العمل النسوي، والتي لا بد من التركيز عليها، ومن هذه النقاط إعطاء أولوية للنساء والتجارب الإبداعية، وخاصة في القضايا الثقافية، وتحفيز الإبداع من خلال برامج مخصصة لها».

تابعت البرغوثي: «قمنا من خلال الطاقم ببعض التجارب مثل «نساء رائدات»، إلا أن المشروع لم يؤخذ بعين الاعتبار بعض التجارب التي ركزت الهوية الوطنية، وبعض الحالات التي ساهمت في بلورة العمل النسوي والحركة الوطنية». الجانب الأخر المهم، برأي الوزيرة البرغوثي، هو الاهتمام بالتراث، وليس فقط بالتاريخ الشفوي الذي يحكي رواياتنا، والنساء كن أساس في هذه التجربة».

ناشطة جماهيرية أم وزيرة

حول أفضلية أي من الدورين، تقول الوزيرة البرغوثي: «ميولي للعمل الجماهيري، ولكن من خلال هذا المنصب، يمكن الوصول إلى التغيرات والرؤى التي يكون لنا فيها مساحات أوسع، وأهمية للدور وكبر الدور وتأثيره أوسع.

تتابع البرغوثي: «دورنا مكمل، وليس فصل لكل قضايا المرأة، ونحاول إدماج النوع الاجتماعي في كل السياسيات، وتغيير الموروث الاجتماعي من خلال السياسات التي نقررها». بهذا الخصوص تقول الوزيرة ذياب: «في الحقيقة العمل الجماهيري يعطيك إلماماً بكل القضايا، ولكن في المنصب الحالي الآليات هي التي تختلف». تتابع:» لم اشعر بالغربة في منصبي الجديد، رغم اختلافه بسبب تجربتي عبر سنوات طويلة في طاقم شؤون المرأة والاتحاد العام للمرأة ولجان المرأة، وعلاقتي مع الحكومة من خلال عملي السابق، ولكن الآليات داخل مجلس الوزراء كانت جديدة علينا». رغم ذلك، لا تخفي ذياب متعة العمل في الحكومة: «لكن في الحكومة هناك متعة حقيقية ما بين الشارع والناس، وأي شئ يتم انجازه تشعرين بمتعته، عندما يتخذ قرار لصالح المرأة وترين كل القوى والأحزاب واللجان النسوية المختلفة، تطرح قضايا مهمة للمرأة، و كيف نحملها لاتخاذ القرار على أرض الواقع».

هل للأحلام بقية

غزة عالم آخر سقط من ذاكرة

غزة: هداية شمعون

أنا/ هن/ هم/ نحن والكهرباء

مشهد أول: أنا/ نحن

انقطعت الكهرباء فور عودتي من العمل، تجلدت قليلاً، فأكوام الغسيل تنتظرني، والماء بدأ يشح في الصنبور، وجدت الوقت سانحاً لشيء واحد، أن ألقى ما أتلف من أطعمة وخبز في سلة المهملات، فلم تعد تحتمل الثلاجة هوس الانقطاع المتلاحق، مرت ساعتان والوقت بدأ يظلم، لا يوجد سولار لتشغيل الموتور، التكلفة اليومية جعلتنا نقنن استخدامه رغم قلة التكلفة، لكن– لأنه أصبح يشغل مرتين وثلاثة في اليوم، فقد بات الأمر جديراً بسياسة التقشف، هذا عدا عن الأصوات التي يصدرها فجأة، وانقطاعه المفاجئ أيضاً لأسباب نجهلها، فنهاتف أهل العلم والاختصاص، وتكون الجملة المعهودة أحضروه للتصليح.

تضيع ساعات أخرى في الظلام، نختنق من العتمة، فالشمع يذوي سريعاً والظلال تثير مخاوف أطفالي، وتتردد كلماتهم الطفولية من هذا الذي على الحائط؟! لماذا تبدو رأس الدبدوب كبيرة يا ماما؟، غول، شبح، يلتصق الصغيران بي أنا الملتصقة بعرقي، يضيق صدري فنهرول جميعاً للخروج، نشغل السيارة بحثاً عن الهواء، عن الضوء المتسرب من مناطق بعيدة، تهدهدنا أصوات المواتير، فتقضي على جمال السماء الصافية، وقرص القمر المضيء، نراه سراباً يبتعد من أدخنة المواتير وأصواتها القاتلة، ضحكة تتسرب في أعماقي، في الأحياء التي فيها مواتير، يضطر أهل المنطقة لشراء موتور، لأنهم لا يهنؤون بالهدوء، فيفضلون أن يسمعوا ضجيج مواتيرهم مع إضاءة، لأنهم بكل الأحوال مجبرون على سماعها في العتمة، بينما يتصايحون ليسمع أحدهم الآخر.

مشهد ثان: هن/ هم

أجول وزوجي وأولادي في طرقات الأحياء، فنرى ما لم نره من قبل، بفعل انقطاع التيار الكهربائي المستمر، سبع نساء حولهن ربما عشرون طفلاً وطفلة من كل الأعمار، يفترشن حصيرة أمام أحد المنازل، ويجلسن أمام منزل إحداهن، الصغيرات يقفن ويحمن حول الكبيرات، لا يجدن ما يقلنه، فيستمعن لأحاديث الكبار، الضحكة مخنوقة في جلستهن، تأملتهن كثيراً، بل حدقت فيهن، كن شاحبات يحاولن أن ينسجن حكاية أخرى، ليقنعن أنفسهن أنهن قادرات على مواجهة الظلام، فالعتمة تضيق صدورهن، ويوماً بعد يوم، أصبحن يجدن متنفسهن في الجلوس في الشارع، مرتديات العبايات والجلابيب المعتمة اللون، حفاظاً على ما تبقى من خصوصيتهن المسلوبة، تركتهن في الدقيقة التي أبطأت فيها حركة السيارة، خوفاً من لعب الصغار، بدورهن حدقن فيّ أيضاً، كأننا من عالم مختلف، أجلس في العربة بجانب زوجي، وأطفالي في الخلف، يجري صغارهم خلفنا، كدت أصرخ، مثلكم هربنا من العتمة إلى عتمة أخرى، حدقنا في عيون بعضنا لثوان، لكنهن حفرن في ذاكرتي لوعتهن وعجزهن عن تغيير مسار حياتهن، ولا يسمع صوتهن أحداً، أو يتحسس تجاعيد وجوههن الشابة، فالقهر اليومي لم يعد خافياً في أحاديث الصباح، كل جلسة وكل تحية تلقيها على من تعرفه ولا تعرفه، في العربة وفي الجامعة وفي مكان العمل وفي الأعراس، كمقبلات الطعام أصبح الحديث عن معاناة الكهرباء، فلا يخلو منها مجلس، دعوات للسماء تلقيها العجائز الجالسات أمام بيوتهن على كل مسؤول يرى ويدعى العمى، ويسمع ويدعى الطرش، هنالك وهنا لا أحد يسمع هذه الدعوات الناقمة سواه في الأعلى.

مشهد ثالث: هي/ وحدها

قعيدة رأيتها وأراها كل يوم، تجلس على كرسي متحرك، تناهز السبعين من العمر، تعلق في رقبتها على حسب ما تكهنت من كثرة مروري، مجموعة من الأدوية، بجانبها دلو صغير، وتمسك بالستارة أمام الباب تشدها، يدوي صوت موتور جيرانها وهي تعيش العتمة، ولا ينالها إلا هدير صوته، تشعل بجانبها شمعة هرمة مثلها، تعدل منديلها الأبيض وشعرها الفضي يلوح من تحت المنديل، أشير لها بيدي من شباك السيارة المفتوح، فلا ترد التحية، وربما لا أدرك تماماً إن كنت ألقي التحية أو أواسي نفسي بمؤازرتها، أشعر بغصة في حلقي كلما مررت من جوارها ظهراً أو عصراً أو ليلاً، كأنما التصقت بذات المكان لا تغادره. خلفها يمتد درج طويل يفوق العشرين درجة، يطل منه أحفادها، ولكنها تبقى وحيدة في الأسفل، تواسي نفسها بالمارين أمامها من عابرين وعابرات، وقفت ببابها هكذا خيل لي وصافحتها وسط العتمة، غير أن يدي لم تبارح نافذة السيارة، كم امرأة مثلها لفظها العمر وباتت تواسي نفسها في شوارع المخيم، لتدرك أنها لا زالت على قيد الحياة!!

مشهد رابع: هم

في ذات الطريق، لكن في حي مختلف، كانوا يجلسون، أربعة رجال في منتصف العمر، يرتدون الشباح والشورت، وأمامهم الأرجيلة، ينفثون غضبهم فيها، كأنما يحاولون أن يضيقوا مساحة الهواء خارج بيوتهم في الشارع، انتقاماً وألماً، فللعجز وجوه كثيرة، يمكن للراصد أن يلتقطها كما يلتقطون نفس الأرجيلة الواحد تلو الآخر، تجول بخاطري صورتهن، هكذا دون كلمات، هن وهم لديهم طرق مختلفة للتعبير عن الغضب في المساحة التي يجود بها المجتمع عليهم/ن.

هم يعلو صوتهم، في الناحية المقابلة أحدهم فتح حاصله ووضع تلفازاً بحجم متوسط، وأمامه اصطف عشرات الشباب، ظهرهم للشارع، لنا، حرارة الماتش لا تفوق حرارة أجسادهم، وعرقهم الذي فاح في المكان، ما أن يدركون صوت سيارتنا يلتفتون كلهم، رغم أن صوت التلفاز أعلى بكثير، هم يرصدون انسياب حركة السيارة، ويحدقون إلينا وعيونهم خاوية لا تعبير فيها. نمضي أبعد، يعودون كماكينة تصنيع مبرمجة، تلتف رؤوسهم مرة أخرى باتجاه التلفاز، فحرارة الجو والظلام الذي يسيطر على الشارع العريض يشتت عشقهم للكرة، ولا يعطيهم معنى لمتابعة مباريات كأس العالم، ويتمنون، بحسب هذياني، أن يصبح اسمه ظلم العالم لعالمهم الصغير.

غزة عالم آخر، سقط من العصور البدائية، ليعلن عن حياته في ظل العولمة والانفتاح والحرية، إنه عالم لنا وحدنا، هكذا أرادوا وهكذا خططوا، لكل وجه للحياة لدى البشر طريقة أخرى لدينا للبقاء، إنه أشبه بفيلم لا ينتهي، تصرخ الصغيرة في الصف الخامس الابتدائي بأمها وهي تشاهد العالم الآخر ومستوى حياة الأطفال فيه، لماذا يا ماما لسنا كباقي الأطفال؟ ما الذي يحدث لنا هنا؟ لماذا نحن مختلفون عنهم جميعا؟ صرخات الصغيرة بأمها لا يسمعها أحد، لأنهم سمعوها كثيراً وباتت مشهداً من الصورة التقليدية، التي دفنت كثيراً من البشر، فهم يصيحون دوماً ويتباكون، لم يعد مكاناً للروح، حتى ممن ينقلون صورة عن غزة، باتوا جزءاً من الصورة التقليدية الميتة القلب، ذات القشور المتساقطة، إنهم جزء من الموت المتسرب إلى أعماقنا، إنهم في العالم البرجوازي، الذي يدعى العقل والأخذ بأمور الشعب، لا يرون إلا أنفسهم، ولا يتحسسون إلا كرسيهم المهترىء، إنهم صناع قرار لأنفسهم، غزة وضفة، عالم لا ينتمي للإنسانية، فلو أن أحداً لديه بقايا روح، لما أبقى الحال على أمره، فالناس، كل الناس، يدركون أنه عالم سفلي، لا يهتم بهم، ولا يراهم ولا يلمح ظلهم، لأنهم جميعاً يسيرون على أعناق هذا الشعب، فبعد أن ذبحوه عن عمد بثقافة الكوبونات، أصبحوا الآن يسيرون دفة الحياة وفق خياراتهم ومصالحهم، العجوز خلف الستارة تدرك أنهم لا يعرفونها، والطفلة تدرك أن هناك مسؤولين لا وقت لديهم لأسئلتها، والنسوة في شوارع المخيم لديهن يقين أنهن سيعانين أكثر في ظل حكومتين، فلا معنى لهموم الناس، ولا جدوى من الشكوى، لأن التأويلات تأخذ طريقها نحو أمر آخر، وشبهات لا قيمة لها.

إن كانت أزمة الكهرباء وانقطاع الماء، وانهيار المستوى الصحي وتضييق الحريات، واستمرار الحصار والإغلاق وازدهار تجارة الموت عبر الأنفاق، واستمرار أكذوبة المصالحة ووو، القائمة لا تنتهي، إن كانت كل هذه القضايا الإنسانية والعاجلة لم تحرك ساكناً لدى صناع القرار، فما معنى حياتهم لامتصاص دماء هذا الشعب!!! والبقاء على دمه المسفوك، إن كان أولي الأمر لا يعرفون دفتهم، فلماذا لا يشرفون أنفسهم بعمل يحسبه لهم التاريخ ويتنحون؟! هل يجب أن نصرخ صباح مساء، أيها المارون فوق الكلمات العابرة، آن أن تنصرفوا، آن أن تنصرفوا،فلم يعد للحلم بقية ببقائكم.

في يوم الاسير

من ورشة المواطنة والهوية

في افتتاح جدارية المرزة

طاقم شؤون المرأة تحت الضوء

طاقم شؤون المرأة، هو إئتلاف يضم الأطر النسوية والمؤسسات النسوية الأهلية، ومجموعة من المهتمات بقضايا المرأة، حيث يؤكد الإئتلاف التمسك بحقوق الشعب الفلسطيني الثابتة في العودة وتقرير المصير وإقامة الدولة الفلسطينية وعاصمتها القدس، كما أقرتها المجالس الوطنية المتعاقبة. ويسعى الطاقم إلى تعزيز الدور السياسي والاجتماعي، بهدف تحقيق العدالة الإجتماعية، استناداً الى وثيقة الاستقلال الصادرة عن المجلس الوطني عام ١٩٨٨، والقانون الأساسي للسلطة الوطنية الفلسطينية .

الرؤيا: مجتمع فلسطيني ديمقراطي، لا يميز بين الرجل والمرأة:

في ظل تعرض المرأة الفلسطينية لأنواع مختلفة من التهميش السياسي والاجتماعي والثقافي والاقتصادي، وتعدد الأطر والمؤسسات النسوية الرسمية والأهلية، التي تعمل في مجالات مختلفة، لتمكين المرأة اجتماعياً واقتصادياً وثقافياً وسياسياً، يرى الطاقم أن تحقيق نتائج ملموسة في مجال إزالة التهميش والتمييز عن المرأة، يكمن في تفعيل الدور النضالي الوطني للمرأة، وأيضاً في وجود تشريعات وبرامج نسوية ممأسسة، وتصب في أولوياتها احتياجات النساء المتنوعة، وتدار بنجاعة وفاعلية، وتعتمد على المشاركة العريضة والتطوع، وتركز على التراث والنضال الوطني والإبداع والنزاهة.
الرسالة: تطوير الخطاب النسوي في إطار وطني تحرري، مرتكز إلى المرجعيات الوطنية، في مقدمتها وثيقة الإستقلال وإعلان مبادئ حقوق المرأة الفلسطينية. باعتبار طاقم شؤون المرأة إئتلافاً نسوياً، فان الطاقم يجد نفسه مسؤولاً عن توفير ملتقى لتطوير الخطاب النسوي الفلسطيني، ومساهماً في بناء قدرات المؤسسات والأطر النسوية، لتمكينها من تطوير الخطاب النسوي، في مواجهة أشكال التمييز ضد المرأة.

القيم الناظمة

يلتزم مجلس الإدارة وعضوات الجمعية العمومية لطاقم شؤون المرأة، والإدارة التنفيذية والموظفين/ات، من خلال سلوكهن/ن ومواقفهم/ن وتصرفاتهم/ن، ومن خلال تقديم الخدمات، بقيم تعتبر ضرورية لتحقيق ما يطمح مجلس الإدارة والجمعية العمومية للوصول إليه. ويسعى الطاقم للوصول إلى مدونة سلوك، تلتزم بها الأطر النسوية والمؤسسات الحكومية، المكونة لإئتلاف الطاقم تتضمن القيم الناظمة التالية:

المشاركة والشراكة: العمل على تعزيز المشاركة العريضة للنساء والمؤسسات في سياسة الطاقم وبرامجه، وتوسيع آليات التغذية الراجعة لمجمل عمل الطاقم، وتوطيد العلاقات الجماهيرية مع النساء في جميع التجمعات السكنية. أيضاً، تعني المشاركة توفير المعرفة والمعلومات الصادقة لجميع النساء في المجتمع الفلسطيني، وتمكين النساء من إيصال قضاياهن، والعمل على تعزيز الشراكة مع المجتمع المحلي أولاً، ومع جميع المؤسسات التي تؤمن وتعمل على إزالة التمييز ضد النساء. التراث والنضال الوطني: العمل على تعزيز وإبراز الدور النضالي للمرأة الفلسطينية، سواءً على الصعيد الاجتماعي أو الاقتصادي أو السياسي، وفي مجال الدفاع عن إحقاق الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني وتعدديته، واحترام التاريخ النضالي للشعب الفلسطيني وتراثه العريق، والتركيز على خصوصية الشعب الفلسطيني وتعدديته.

العمل على تعزيز الإبداع والتفكير الناقد،

من أجل احداث التغيير الاجتماعي والثقافي، دون المساس بروح وقيم المجتمع، وذلك بتعزيز القيم الإيجابية في المجتمع، في مواجهة القيم السلبية، التي تحد من حرية المرأة الفلسطينية، وذلك من خلال تعزيز المشاركة والاستفادة من الدروس السابقة، ومن المبادرات المحلية، ومراجعة تجارب بلدان عربية وبلدان أخرى. أيضاً، العمل على نبذ العنف والتعصب، الذي يحد من إبداعات المجتمع ويحد من التفكير النقدي ومن التنمية بكافة أشكالها.

التطوع: اعتبار العمل التطوعي من أهم امتيازات العمل الأهلي، هذا لا يقتصر فقط على عضوات مجلس الإدارة، في طاقم شؤون المرأة بل أيضاً يشمل عضوات الجمعية العمومية، ويشمل أيضاً تعزيز هذا على صعيد وطني. وسيعمل الطاقم في عمله وبرامجه على تجنيد مناصرين/ات ومتطوعين/ات من فئات الشعب الفلسطينية المختلفة.

حقوق الإنسان: العمل في إطار القانون الأساسي الذي يلغي التمييز ضد الأفراد وضد النساء، والعمل على تطوير المرجعيات في ما يتعلق بحقوق الإنسان من منطلق أن الحقوق للجميع، وعدم وجود مساومة أو مفاضلة حول الحقوق، والعمل على دعم جميع المبادرات التي تعمل عليها المؤسسات الفلسطينية، والهادفة لتحقيق حقوق الفئات المختلفة، بغض النظر عن الفئة المستهدفة، ودعم المبادرات العالمية التي تعزز حقوق الإنسان على الصعيد العالمي.

النزاهة: الإيمان بأن المؤسسات الأهلية والدول، لن تستطيع تحقيق أهدافها النبيلة دون مراعاة نظام نزاهة شامل. النزاهة تعني لطاقم شؤون المرأة الشفافية، والمساءلة والمحاسبة في العمل، والعمل على تطوير إجراءات العمل الإداري والمالي، لينسجم مع أعلى معايير الشفافية، وتبني نظام للإفصاح ونشر المعلومات عن مجمل محاور عمله. كذلك العمل على تطوير عمليات التخطيط والتقارير، ليتمكن الجمهور وجميع المؤسسات من مساءلة جميع الهيئات والمناصب القيادية في الطاقم.

خلفية تاريخية عن طاقم شؤون المرأة

تأسس طاقم شؤون المرأة في القدس في العام ١٩٩٢، كجزء من الطواقم الفنية، التي تكونت لمساندة الفريق المفاوض ومساعدته أثناء محادثات السلام، ولإعداد البنية التحتية والبنوية لبناء اللبنات الأساسية للدولة الفلسطينية المستقبلية، ولإدماج النوع الاجتماعي في كافة هذه التحضيرات، تجسيداً للشراكة بين الرجال والنساء، في دعم وتعزيز عملية السلام والبناء المستقبلي لمؤسسات الدولة الفلسطينية، وتكريساً لمضامين وثيقة الاستقلال (١٩٨٨)، التي أكدت على مبدأ المساواة بين الفلسطينيين، بغض النظر عن الجنس أو الدين أو العرق ، وبهدف تجميع وتوحيد جهد القوى النسائية الفاعلة والداعمة لمبادرة السلام الفلسطينية. وعليه فقد تشكل طاقم شؤون المرأة في مراحله الأولى، من الأطر النسوية المؤيدة

جانب من أنشطة طاقم شؤون المرأة

من ندوات الطاقم الثقافية

تكريم الأديبة سلمى الجيوسي

إحدى تدريبات القيادات الشابة

تكريم ليلى غنام محافظ رام الله

لعملية السلام (اتحاد لجان المرأة للعمل الاجتماعي، اتحاد العمل النسوي، اتحاد لجان المرأة العاملة)، إضافة إلى مراكز نسوية (مركز الدراسات النسوية، مركز شؤون المراة)، وكفاءات نسوية تعمل سوياً من أجل بناء مجتمع ديمقراطي متعدد، «يحترم حقوق الإنسان، وخال من أي شكل من أشكال التمييز القائم على الدين والجنس واللون، لضمان العيش الكريم والأمان للمواطن». كما يسعى الطاقم إلى تطوير دور المرأة في المجتمع، من خلال تعزيز وبناء قدراتها وتمكينها في مراكز صنع القرار، وفي العملية التنموية والسياسية الفلسطينية.

نجح طاقم شؤون المرأة بتوسيع مشاركة النساء في الطواقم الفنية (طاقم البيئة، التربية والتعليم والإعلام)، كما كثف جهده في مراجعة القوانين ذات الصلة بحقوق المرأة، من أجل إعداد مسودات مشاريع قوانين، تستند على مضامين وثيقة الاستقلال (١٩٨٨)، والمساهمة في إعادة جدولة الأجندة النسوية، لتتلاءم مع المتغيرا ت السياسية، وتضع أسس ومبادىء إعلان حقوق المرأة الفلسطينية، (الوثيقة التي أعلنت في عام ١٩٩٤، من قبل الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية).

وبعد قيام السلطة الوطنية الفلسطينية في العام ١٩٩٤، وتحول أطقم المفاوضات إلى وزارات، تقدم طاقم شؤون المرأة بمشروع لتأسيس وزارة شؤون المرأة في حينه إلى الشهيد القائد الأخ أبو عمار، رئيس دولة فلسطين. ولحداثة التجربة الفلسطينية، لم يتكلل جهد الطاقم بالنجاح على هذا الصعيد، وعليه بادر مجلس الأمناء بعقد سلسلة من الاجتماعات، لبحث استمرارية وديمومة عمل الطاقم، ووضع الرؤية والرسالة والأهداف، التي يسعى الطاقم لتحقيقها، بعد تلمس واضح أن الحركة النسوية الفلسطينية، بحاجة ماسة إلى جسم إئتلافي، يدافع عن مصالح النساء، ويناضل من أجل مجتمع عصري ديمقراطي. وعليه خلصت هذه الاجتماعات إلى اتخاذ قرار، بتحويل الطاقم إلى إئتلاف نسوي، يفتح صفوفه لكافة الأطر والمراكز النسوية، التي تلتقي معه في الرؤية والرسالة، ليصبح إئتلافاً نسوياً، يوحد الجهد النسوي، من أجل حقوق متساوية للنساء في المجتمع الفلسطيني، وتحقيق الشراكة في البناء والقرار، أسوة بالشراكة في النضال الوطني.

وبناء على ذلك انضمت ثلاثة أطر نسوية إلى عضوية الطاقم، إضافة إلى عدد من المراكز النسوية والكفاءات المهنية، ليتشكل مفصل أساسي في تاريخ الحركة النسوية الفلسطينية، بولادة إئتلاف نسوي عريض، يستجيب لتطلعات المرأة الفلسطينية في الاستقلال الوطني، والارتقاء في دورها وتبوئها مكانة في المجتمع الفلسطيني، تليق بتضحياتها ومعاناتها وصمودها طيلة العقود المنصرمة، إئتلاف يسعى مع مكونات المجتمع المدني، إلى ترسيخ مبدأ تكافؤ الفرص، وإلغاء كافة أشكال التمييز ضد المرأة، ونحو قوانين منصفة للنساء. في عام ١٩٩٦، تم وضع أول استراتيجية للطاقم لمدة ثلاث سنوات، تمحورت حول تنمية المشاركة السياسية للمرأة، من خلال تنظيم حملة واسعة لإيصال المرأة إلى مراكز صنع القرار (انتخابات المجلس التشريعي)، وزيادة تمثيل المرأة الفلسطينية في الوظائف العامة، والمشاركة في إعداد مسودات قوانين، تضمن حقوق المرأة السياسية والمدنية. إضافة إلى إيلاء الطاقم جهداً استثنائياً في تقوية وتمكين الأطر النسوية المنضوية في إطاره، لاعتبار الأطر صلة الوصل مع القاعدة النسوية العريضة، التي أصبحت بحاجة ماسة إلى إعادة تنظيم صفوفها وتوسعها، وإحداث توازن في انتشارها، وقد ساهم طاقم شؤون المرأة من خلال البرامج والمشاريع التي نفذها، بالتعاون مع الأطر النسوية، إلى إعادة تفعيل وتنشيط قاعدة الأطر، وبناء قيادات محلية فاعلة في مجتمعاتها المحلية، عبر برامج التدريب المتنوعة، وتنفيذ حملات التأثير والضغط من أجل حقوق متساوية، والوصول إلى المناطق المهمشة، ورفع كفاءة النساء في تلك المناطق، من مثل مشروع سنابل (المرأة الريفية)، مراكز نساء المستقبل (المناطق المهمشة)، قيادات شابة (لتواصل الأجيال).... الخ. منذ ذلك الوقت، والطاقم يعمل من خلال مكتبه الرئيسي في رام الله، ومكتبه في غزة، كجسم تشبيكي للأطر النسوية، يقوم بالمراقبة، والمحاسبة، ويتابع الجوانب الحقوقية، ويعمل من أجل الدفاع عن حقوق النساء ومصالحهن. وقد تمكن من بناء شبكة علاقات واسعة على الصعيد المحلي والاقليمي والدولي، والمشاركة في معظم المؤتمرات الدولية التي لها صلة بقضايا المرأة وحقوق الإنسان.

برامج الطاقم في إطار الواقع السياسي والإقتصادي

عمل طاقم شؤون المرأة منذ تأسيسه في سلسلة من البرامج والمشاريع، انطلاقاً من الواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي للفلسطينيين، وأهم هذه البرامج ما يلي:

التعبئة والمناصرة: بدأ البرنامج منذ تأسيس طاقم شؤون المرأة، واستمر حتى إعداد هذا التقرير. شملت البرنامج سلسلة من المشاريع والأنشطة التي استهدفت تعديل أو اقتراح بنود في التشريعات الفلسطينية، التي تخص قضايا حقوق الإنسان، حيث عمل الطاقم من خلال التنسيق والتشبيك مع المؤسسات النسوية والحقوقية، على مجموعة من القضايا الخاصة بقانون الانتخابات، والتعليم، وقانون الأسرة، وقضايا الزواج، وقانون العقوبات وقانون الأحوال الشخصية والقانون الأساسي.

تمكين المرأة: يعمل الطاقم في هذا المجال منذ ١٩٩٥، ويعمل في اتجاهين، الاتجاه الأول، يستهدف النساء بشكل عام ويسعى إلى تمكينه في العمل وفي الوصول إلى مواقع صنع القرار، والاتجاه الثاني يستهدف المرأة الريفية، التي تعيش في التجمعات السكنية المهمشة. يعمل الطاقم في تدعيم المرأة الريفية في مشروع سنابل، بهدف تحقيق الاحتياجات العملية للنساء في المجتمع الريفي. ويشمل مشروع سنابل سلسة من أنشطة التدريب والتوعية الموجه للنساء الريفيات في التجمعات السكنية الريفية المهمشة. يشمل التدريب مواضيع مختلفة في مجال إعداد القيادات، قضايا وحقوق المرأة، التشبيك ومهارات إدارية، بالإضافة إلى توفير بعض الدعم الاقتصادي للنساء، وبعض أنشطة البنية التحتية المساندة للمجموعات النسوية.

قيادات شابة: بدأ العمل في البرنامج منذ العام ١٩٩٧، ويهدف بشكل أساسي إلى تقوية المرأة وتدعيمها وزيادة قدرات فئة الشباب، والنساء بشكل عام، للمساهمة في حملات الضغط والمناصرة. هذا ويقدم البرنامج سلسلة دورات تدريبية للشباب من كلا الجنسين.

الإعلام والتوعية: بدأ العمل في الإعلام من بداية تأسيس الطاقم في العام ١٩٩٤، وتم مأسسته وتطويره في العام ١٩٩٦. يهدف الإعلام بشكل عام إلى تحقيق التوعية المجتمعية تجاه قضايا وحقوق المرأة الفلسطينية، والمساهمة في الحملات التي ينظمها الطاقم. ينفذ الطاقم حملاته الإعلامية باستخدام أدوات مختلفة كالإعلام المرئي، والإعلام المسموع والإعلام المقروء. يستهدف الإعلام مستويات وفئات عمرية واجتماعية وسياسية مختلفة، كما يستهدف الناطقين بغير اللغة العربية (فقط في الإعلام المكتوب، تنفذ الأنشطة الإعلامية بالتعاون والتنسيق مع مؤسسات إعلامية فلسطينية، كتلفزيون فلسطين، وصوت فلسطين وبعض التلفزيونات المحلية).

طاقم شؤون المرأة يلتقي مديرة «المؤسسة الوطنية للنساء» الامريكية

رام الله –خاص

استقبل طاقم شؤون المرأة أمس رئيسة المؤسسة الوطنية للنساء في أمريكا السيدة تيري أونيل، حيث أطلعت مديرة طاقم شؤون المرأة روز شوملي، السيدة تيري على واقع المرأة الفلسطينية والتحديات التي تواجهها في ظل وجود الإحتلال الإسرائيلي المتواصل، والذي تنعكس آثاره على مجمل حياة المرأة الفلسطينية بشكل مباشر، ومساهمة المرأة الفلسطينية في النضال الفلسطيني للتحررمن هذا الإحتلال، في الوقت الذي تعمل فيه المرأة الفلسطينية أيضا في سياق آخر، وهو المطالبة بحقوق المرأة والمساواة ومواجهة العنف والصورة النمطية حول المرأة، وأشارت شوملي الى عمل الطاقم لصالح المرأة الفلسطينية في كافة أماكن تواجدها .

فيما تحدثت ابتسام زيدان عضو الهيئة الإدارية لطاقم شؤون المرأة، عن معاناة المرأة الفلسطينية بدءاً من النكبة، الأمر الذي جعل العديد من النساء الفلسطينات يخضن العمل السياسي، لان ظروف الاحتلال دفعتهن الى ذلك.

من جانبها تحدثت السيدة تيري أونيل عن بدايات عملها في خدمة قضايا المرأة في أمريكيا، والصعوبات التي واجهتها في دفاعها عن المرأة، وقضايا التمييز العنصري، والعنف، وعدم المساواة في فرص العمل والأجور، التي تنعكس على دخل المرأة ورفاهيتها وتقدمها.

يذكر أن السيدة تيري أونيل هي محامية واستاذة قانون وناشطة نسوية في قضايا تعزيز الحرية الإنجابية، وتعزيز التنوع وإنهاء العنصرية، ووقف العنف ضد المرأة، وضمان العدالة الإقتصادية، وإنهاء التمييز على أساس الجنس وتحقيق المساواة الدستورية للمرأة. الى جانب عملها على تنظيم حملات انتخابية لدعم مرشحين ديموقراطيين مساندين لحقوق المرأة، مثل حملة هيلاري كلينتون للفوز بترشيح الحزب الديمقراطي، حملة باراك أوباما الرئاسية، والحملة التي أدت إلى انتخاب أول امرأة في ولاية لويزيانا الأمريكية السيناتور ماري لاندريو. كما عملت على انتخاب المرأة لمناصب قضاة مؤيدين لحقوق المرأة في المجلس التشريعي لولاية لويزيانا الامريكية.

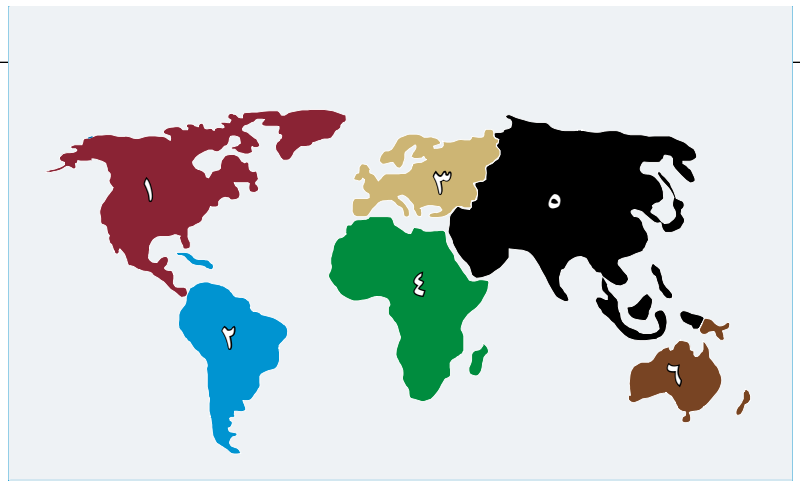

نساء وأخبار

الحكومة الإيرانية تقرر نشر بيوت زواج المتعة!

٥ إيران: الأسبوع/ اونلاين: قررت الحكومة الإيرانية نشر بيوت الزواج المؤقت، أو ما يعرف باسم زواج المتعة ليوم واحد، في الشوارع والأحياء، بحجة القضاء على مشكلة الاغتصاب والكبت الجنسي، الذي يعاني منه الشباب الإيراني، وتحت هذه الذريعة، سيكون بإمكان أي إيراني أو غير إيراني ارتياد هذه البيوت، لممارسة الجنس مع فتاة تقدم هذه الخدمة لأي شاب يقرع بابها، بحجة أن الدين يبيح هذه الممارسات، والتي يطلق عليها صفة الزواج لدي الشيعة. ونقلت مصادر إعلامية عن قوى الأمن الداخلي قولها: إنها ستوسع نطاق ما يعرف في إيران بمراكز أو بيوت العفاف، بهدف تقليص الاغتصابات وحل معضلة العلاقات الجنسية غير المشروعة. وأكد تقرير رسمي للحكومة أنها مقتنعة بضرورة إشاعة الزواج المؤقت، أو ما يعرف بزواج المتعة، لحل هذه الأزمة، وأنها مستعدة لإيجاد مراكز خاصة في هذا المجال، فيما سمحت الحكومة للعديد من المكاتب ومواقع الإنترنت، بنشاط يدخل في مجال تعارف النساء والرجال والبحث عن زوج أو زوجة، والزواج المؤقت. حتى أن إعلاناً نشر في موقع رسمي، يعلن عن تقديم مراكز دينية في مدن قم ومشهد وطهران، لتأمين البنات للرجال الراغبين في الزواج المؤقت، ويبلغ سعر الليلة الواحدة ما بين ٢٠ إلى ٥٠ دولارحسب نوع الفتاة، اذا كانت بكراً او غير ذلك، وحسب جمال الفتاة وعمرها، اي ليس الجميع بسعر واحد. ويكون نصف الربح للمراكز الدينية الشيعية، والمبلغ المتبقي للفتاة، يجب ان تدفع الخمس منه إلى السيد، لكي يصبح هذا المبلغ حلالاً عليها، وهذا الخمس المدفوع للسيد هو بمثابة زكاة الأموال المستحصلة من زواج المتعة. ونقلت صحيفة القبس الكويتية الصادرة اليوم، عن الحكومة قولها: إنها تهدف إلى تقليص حالات الكبت الجنسي لدى الشباب، والإقلال من حالات الاغتصاب، وإن كل من يريد أن يقوم بالعمل الجنسي، يستطيع الذهاب إلى بيوت العفاف!.

مشيرة إلى أن مثل هذه البيوت أو المراكز، كانت موجودة في عهد الشاه السابق، لكن بعد الثورة تمت إزالتها، لأنها مراكز فساد وانحطاط، إلا أن هاشمي رفسنجاني، كان أول من طرح فكرة إيجاد بيوت العفاف أو مراكز الزواج المؤقت، وذلك عام ١٩٩١، ولكن في الواقع تحولت هذه البيوت وفقاً لاعتراف أركان النظام، إلي مراكز لفساد المسؤولين، إذ استولوا عليها وصاروا يلعبون بخلق الله كيفما يشاءون! ولم يسمح النظام علنا باستمرار بيوت العفاف في عهد حكومة خاتمي، ولا في الأعوام السابقة، حيث ظل هذا النشاط سرياً وعلي مستوي الشوارع أو البيوت الخاصة غير المرخص لها.

وأضافت صحيفة القبس الكويتية أن هذه البيوت باتت مرتعاً لنزوات وشهوات المسؤولين وبعض رجال الدين الشيعة، الذين لا يكتفون عادة، حتى بأربع نساء حسب الشرع الإسلامي! ويدعو النائب علي مطهري إلي تطبيق هذا المشروع بشكل واسع النطاق، حتي في المدارس الثانوية والجامعات، علي غرار الحرية الجنسية المتاحة في المجتمعات الغربية.

لا عقاب لمغتصبي النساء والأطفال

١ الأمم المتحدة: أصبح العنف الجنسي ضد المرأة جزءاً لا يتجزأ من النزاعات المسلحة الجارية في مختلف أنحاء العالم، بل وحتي بعد إنتهائها، إلى الحد الذي لا تجرؤ فيه نساء العديد من البلدان على الخروج من منازلهن لإحضار الماء والحطب والطعام، خوفاً من التعرض للإعتداء والإغتصاب. لكن مرتكبي العنف والإغتصاب غالباً ما يفلتون من العقاب.

تناولت مارغو فالستروم، الممثلة الخاصة للأمين العام للأمم المتحدة لشئون العنف الجنسي في النزاعات، وضع النساء اللواتي تقعن ضحية العنف والإغتصاب في العديد من مناطق العالم، في حديث خاص مع وكالة انتر بريس سيرفس في مقر الأمم المتحدة. ومنذ توليها هذة المهمة في أول أبريل الأخير، والتي تجمع بينها وبين منصبها كنائبة رئيس المفوضية الأوروبية، باشرت فالستروم في التحري عن ممارسات العنف والإغتصاب، التي ترتكب ضد النساء علي أيدي جماعات مسلحة وقوات عسكرية نظامية، بل وحتى عاملين في البعثات الإنسانية وقوات حفظ السلام، وذلك لإعداد توصيات محددة لعرضها علي مجلس الأمن. هذا وترتكب الإعتداءات الجنسية سواء على النساء والطفلات والأطفال عامة في العديد من الدول بينها كوت ديفوار (ساحل العاج)، والسودان، وجمهورية الكونغو الديمقراطية (زائير سابقاً)، وهايتي، وبوروندي وغينيا، وليبريا.

وقامت فالستروم بأول زيارة لها منذ توليها منصبها الأممي إلى جمهورية الكونغو الديمقراطية، فوصفتها بأنها «عاصمة الاغتصاب» في العالم. وشرحت لوكالة انتر بريس سيرفس أن الكونغو قد جذبت إهتمام وسائل الإعلام كمسرح للإغتصاب المنظم في الحروب. فقد أفادت إحصائية عن ٢٠٠،٠٠٠ حالة إغتصاب على أراضي الكونغو الديمقراطية منذ بداية الحرب قبل ١٤ عاماً. لكن هذا الرقم «بالتأكيد أقل من الواقع»، وفقا لفالستروم. وعن تعهد مجلس الأمن بالتركيز أكثرا فأكثر على قضية العنف ضد المرأة، وما هي الدول التي يتوجب التركيز عليها، قالت فالستروم أن الكونغو حالة معينة، كما هي دارفور وعدد من البلدان الأخرى في أفريقيا. «سنركز أيضا على ليبريا، حيث هناك مجتمع ما بعد الصراع الوحشي، وحيث الاغتصاب هو الجريمة الأكثر شيوعاً. لا يمكننا أن نتواجد في جميع البلدان التي تعاني من الصراعات. سننفذ أجندة مجلس الأمن. إنها مشكلة لا تقتصر على أفريقيا وحدها».

الهنديات يتعلمن حماية أنفسهن من الرجال

٥ الهند: يزداد عدد الهنديات اللواتي يتعلمن دروساً في الكاراتيه، أو يتدربن على تقنيات أو يتمرن على استعمال العصا التقليدية. هذه الوسائل للدفاع عن النفس، ليست بهدف صد السارقين، بل للرد على الرجال المتحرشين.

وتتعرض المرأة الهندية للتحرش الجنسي في الشارع والباص والقطار والمركز التجاري، وحتى في المطار. تحرشات لم يعد بوسع الهنديات احتمالها، فقررن كيل الصاع صاعين. وفي نيودلهي، التي غالباً ما تعرف «بعاصمة الاغتصاب»، تسجلت منذ العام ٢٠٠٢،حوالي ٧٠ ألف امرأة في برامج الدفاع عن النفس. وتعطي هذه الدروس معاهد خاصة كما جهات حكومية، على غرار شعبة مكافحة الجرائم ضد المرأة في شرطة نيودلهي. وقد رصد المركز الوطني لإحصاء الجرائم في الهند، حوالي ٢٠٠ ألف حادث عنف بحق النساء لسنة ٢٠٠٨ وحدها، بينها أكثر من ٨١ ألف حالة تعذيب و٤٠ ألف حالة اعتداء جنسي و٢٢ ألف اغتصاب و٢٣ ألف عملية اختطاف. وفضلاً عن هذه الجرائم، هناك ما يزيد عن ١٢ ألف بلاغ بشأن تحرشات جنسية.

لفترة طويلة، جرى اعتبار التحرشات الجنسية كمجرد «مضايقات» أو تصرفات رجالية، لا بد أن تعتاد عليها النساء. حتى أن عبارة «مضايقة حواء»، التي تستعمل في الهند للدلالة على التحرش الجنسي، تشير إلى أن المعتدي أو المتحرش، لم يقم سوى «بمضايقة» الفتاة، لكنه لم يؤذها بأي شكل من الأشكال. منذ سنوات، تعطى دروس في الدفاع عن النفس في عدد من الولايات الهندية. لكن بغض النظر عن نجاعتها، الأهم هو رسالة هذه البرامج : رسالة تقول لا تكن ضحايا، تحركن وتوقفن عن الخوف.

نساء أف أم

محطة نسويه ترفيهية تحلق بهموم النساء ومشاكلهن عبر أثير رام الله

رام الله: صوت النساء

منذ اليوم الأول لانطلاق الإذاعة رسمياً، عملت القائمات على إذاعة «نساء أف أم»، إلى التوجه إلى النساء من خلال برامج تحمل همومهن ومشاكلهن، بالإضافة إلى مساحة كبيرة من الترفية عبر الموسيقى، التي رفعت الإذاعة شعارها. وكان «فطور» و «أنت تسوق»، هما أول برنامجين يتم بثهما مباشر على نساء «أف أم»، بضيافة نسري عواد وحلا البزار، حيث تشارك نسرين وحلا مستمعيهما بالنقاشات وبالمشاركة بقصص نجاح، وباستضافة متحدثين متميزين.

تقول حلا: «إن البرامج المقدمة تمس بشكل مباشر المرأة، من خلال اختيار المواضيع المهمة والشائكة، التي لها بعدها الاجتماعي والتثقيفي والتوعوي في نفس الوقت». حلا واحدة من ثماني عاملين في المحطة، خمسة منهم نساء، يعلملن بجد وإصرار، على إثبات تميز المحطة، التي تعتبر الأولى من نوعها على مستوى الشرق الأوسط.

للنساء ومشاكلهن

مديرة المحطة الإذاعية ميسون عودة، خلال الإعلان عن المحطة، أعلنت عن توجه القائمين على المحطة نحو التميز، من خلال ما ستقدمه المحطة لمستمعيها من كلا الجنسيين، وليس النساء فقط.

تابعت: «نظرا لكون المرأة الفلسطينية هي نصف المجتمع، نحن سنعمل على تسليط الضوء على إنجازاتها وقصص النجاح لها في مجتمعنا، ولكن هذا لا يعني أن هدفنا المرأة فقط».

بحسب عودة، فإن الخطط المستقبلية، هي تقديم التدريب والتأهيل في آليات البث والصحافة، لتعزيز مشاركة النساء المتخصصات في مجال المعلومات والاتصالات.

ترى عودة، أن هذه المحطة إذاعية مميزة، فهي للنساء وليست لهن وحدهن، وهي إضافة إلى بث الموسيقى والتسلية وفتح باب النقاش حول الخبرات النسائية ومشاكلهن ونجاحاتهن، تسعى إلى تحسين الاتصال وتبادل المعلومات بين النساء، اللواتي يفصلهن جدار الفصل ونقاط التفتيش، وإقحام الرجال بالنقاشات حول النساء، بأسلوب يراعي الجانب التثقيفي بعيدا عن الاستفزاز.

صانعات للإعلام

لم يتوقف الاهتمام بالنساء بمحطتهن عند هذا الحد، كما تقول عودة، بل ستسعى «نساء أف أم»، إلى تمكين النساء الفلسطينيات من خلال الزوايا الألكترونية و»الفيس بوك» والإعلام الاجتماعي الجديد، من «المساهمة في محتوى المحطة، بحيث يصبحن منتجات إعلاميات، بدلاً من مستهلكات للإعلام فقط». وستوفر المحطة الإذاعية التي انطلقت تحت شعار «موسيقى، تغيير، نجـاح»، للنساء الفرصة لإيصال صوتهن إلى أبعد من جغرافية فلسطين، إلى كل مواطن اللجوء. وقالت عودة: «إن ذلك يتم بالتعاون مع الشركاء المحليين، كالمنظمات النسائية غير الحكومية وملتقى سيدات الأعمال، إذ ستشمل المحطة المواقع الألكترونية لتلك المؤسسات، لاستقطاب مستمعين كثر محلياً وإقليمياً».

تقوم الإذاعة بالبث عبر موقعها على الشبكة العنكبوتية، بحيث تتمكن جميع النساء من سماعها في مختلف أنحاء العالم، والتفاعل معها.

بالعودة إلى فكرة إنشاء هذه المحطة المميزة، تقول عودة: «بالرغم من تمثيل النساء في الأرض الفلسطينية ٥٠٪ من بين السكان، ورغم خصوصية المشهد الفلسطيني الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، فإن هناك غياباً لمحطة تختص بقضايا النساء وحدهن، تناقش همومهن وتسلط الضوء على مشاكلهن، فكانت الفكرة من هنا». كما أكدت عودة، إنه بالرغم من خصوصية المحطة وانطلاقاً من كونها المحطة الاولى من نوعها مخصصة للنساء، إلا ان الرجل سيكون حاضراً من خلال إشراكه في كافة القضايا المطروحة في برامج المحطة، وعدم عزله، وتوفير مواد موسيقية وثقافية ممتعة للجميع نساءً ورجالاً، باللغتين العربية والإنجليزية.

كل عام وأنت اقرب

رسائل فلسطيني إلى امرأة نائية

بقلم: عدنان الصباح

سيدتي البعيدة

مولع أنا بالحياة تماماً كولعي بك، أو أن ولعي بك هو ولعي بالحياة، وإلا فما الذي سيدفعني لكي أكون مولعاً بحياتي كفلسطيني، إلا لأن هناك ما يجعلها أقل قسوة أو اقل قبحاً أو اقل ألماً، كل ما حولي كفلسطيني هو عكس ذلك، فالحياة هنا أكثر قبحاً وأكثر إيلاماً وأكثر قسوةً، إلا أنت، وأنت بعيدة، فلا خيار لدي، سوى التمسك بك أكثر، والسعي إليك أكثر، لعلي أتمكن من دفعك للإقتراب أكثر.

في بلادنا يا حبيبتي، يموت الرجال على الطرقات اليوم، بيافطات عن الشهادة، وتنزوي النساء بعيداً خجلات من إعلان الشوق للحياة، ويتعلم الأطفال كيف يكذبون، فلا يبكون، لأن البكاء ضعف، والضعف للنساء حسب رأيهم البغيض، فيكبر فينا الكذب أكثر بحق أنفسنا، وننقسم نصفين، نصف حقيقي منزوي في الظلمة، يمارس ذاته بعيداً عن الآخرين، ونصف كاذب يتبختر منفوخاً كالبالون أمام الآخرين، إلى إن يجد فرصته لكي يتخلص من هواء النفخ الكاذب، وذاك لا يكون إلا في الظلمة.

وتلك الحالة هي مرض عربي لا فلسطيني أصلاً، فكيف يا حبيبتي إذن يمكنني الإنطلاق بذاتي علناً، لعلني أوازي بين الذاتي الخاص والذاتي العام، كيف يمكنني أن أصرخ بما في على دوار المدينة الرئيسي، أو في ساحاتها أو على بواباتها، دون أن أخشى لوم الكاذبين الكثر من حولي.

مفعم أنا بالحب تماماً، كحالة حبة مشمش في قمة النضج قبيل القطاف، فمن يقطفني عداك، والناس منشغلون اليوم بالقتل والتآمر والتدمير، من سيقطفني أنا إن لم تكوني أنت، فأنت وحدك لا تنشغلين بموت الآخرين كجيوش الأعداء، وحدك من لا تنشغلين بتعذيب الفلسطيني كالآخرين، وحدك من لا تمارسين الحصار على غزة علناً، وعلى الضفة ضمناً، وعلى مخيمات لبنان بالتورية، وحيث كان الفلسطيني باسمه العلني بالبطش أو التهميش أو الطرد، أو بنظرة خفية من تحت طرف العين، تظهر الهزء والاستهتار وما إلى ذلك.

نحن فتحنا الطريق لهم ليفعلوا ذلك بنا علناً أو تورية أو سراً، حين انشغلنا عن ذاتنا المجروحة من الآخر العدو، بذاتنا الجارحة للذات، بأدوات الذات، فماذا كنا نتوقع إذن من الآخرين، سوى الهزء بنا، وذلك أضعف الإيمان.

في الأوطان الفلسطينية المجزوءة على أيدينا، والمحتلة على أيديهم، باتت لدينا حتى الإهتمامات مختلفة، في الضفة الغربية المحاطة بالجدار الذي نحتار بتسميته، إن كان جدار العزل أو الجدار العنصري أو جدار التهويد والضم والسرقة، ننشغل اليوم بانتخابات البلديات وبقوائم الترشيح، ولا أحد يتحدث عن برنامج انتخابي، وإن فعل فإن المسالة الوطنية والقومية ومواجهة الاحتلال، هي آخر ما قد يخطر على بال أحد. في غزة ينشغلون بالحصار والأنفاق وانقطاع الكهرباء وشح الماء والدقيق، وفي القدس التي كانت على مر العصور عربية، ينشغل سكانها اليوم بتذكر مظاهر عروبتها، والبعض يوثق ذلك في الصور، أو على الورق معتقداً أنه يدير معركة قومية ضد الصهيونية، المنشغلة بتدمير ما نوثقه نحن على الورق عن وجه الأرض، ليصبح لعمل أبطال التوثيق معنى، في الجليل والمثلث والنقب وحيفا ويافا وعكا، أو في أراضي عام ١٩٤٨، أو الأراضي المحتلة عام ١٩٤٨، أو في أراضي داخل الخط الأخضر، أو لدى فلسطينيي الخط الأخضر، أو عرب إسرائيل، أو سمهم ما شئت، فلم يتفق العرب بعد حتى على تسميتهم، لأننا نحن الفلسطينيين أنفسنا لم نجد لهم تسمية، فقد أضعنا حتى حروف لغتنا، فاحمدي الله يا حبيبتي أنني لا زلت أملك بقايا حروف أخطها لك، دون أن افقد بوصلة حبك حتى باللغة، وهذا ضعف في إدراك شكل علاقتنا بأنفسنا وأرضنا وبوحدتنا، لان ما يشغلهم في حيفا ليس عروبة القدس، بل عروبة وادي النسناس، ليس الجدار، بل أسماء مدنهم، التي باتت عبرية بين ليلة وضحاها، ليس الأقصى، بل يهودية تراب بوابات بيوتهم. وما يشغلهم في الشتات مختلف، فهناك هم المهنة الممكنة وبطاقة المرور والجنسية البديلة، والهروب من الجلد إلى عباءة الآخر، لا حباً بالعباءة وصاحبها، بل حباً بالإنتقال من موت اللقمة الدم، المغموسة به حيثما ذهبنا.

أنت حبيبتي إذن رغماً عن أنوفهم، وأنا أخبئك بخوابي جدتي العتيقة، حتى لا يطالك التهويد، فيغيروا حروف اسمك، مثلما فعلوا بالناصرة والقدس، أو يتقاسموا معي أيام عشقك، كما فعلوا في المسجد الإبراهيمي، ووجدنا من يكافح في سبيل الإعلان أن الحرم الإبراهيمي للجميع. وحدي لن أتنازل عن عشقك أبداً، فأنت لي، ولي وحدي روحاً وجسداً، وشعارات الى الجميع، عهر وسخافة وسير نحو التوهان والضياع والإضاعة، فالحرم الإبراهيمي لنا، كالقدس، مسجدها وكنائسها وحتى الهياكل المزعومة إن صحت كذبتهم، هي لنا، فهم لا شيء لهم سوى الجريمة، لأنهم صانعيها، سوى الموت، لأنهم من يجوبون به بقاع الأرض، سوى الخراب على الأرض، حيث كانوا وحيث يكونوا.

طالبات الأكاديمية الفلسطينية للعلوم الأمنية

هل تفوقن على «رجل الأمن»؟

بثينة حمدان

«رجل الأمن» مصطلح مرتبط بالذكورة أولاً، ثم بكل ما هو معروف عن صفة رجل الأمن، لذلك يستغرب البعض وجود فتاة رقيقة تحت إطار هذا المصطلح، لكنه أمر سيعتاد عليه الفلسطينيون، لا سيما مع إقبال الفتيات على الدراسة في الأكاديمية الفلسطينية للعلوم الأمنية ومقرها أريحا، عدا عن وجود شرطيات وموظفات عسكريات في الأجهزة الأمنية الفلسطينية.

اللواء توفيق الطيراوي، رئيس مجلس أمناء الأكاديمية الفلسطينية للعلوم الأمنية ومؤسِّسها عام ٢٠٠٦، أكد وجود نحو ٥٣ فتاة بين ما يقارب ٣٠٠ طالب في الأكاديمية، ضمن مختلف التخصصات المندرجة ضمن درجتي الدبلوم والبكالوريوس، وقال: «يتعرض الطلبة بلا تفرقة بين الذكور والإناث لنفس معايير القبول، كما وضعتها وزارة التربية والتعليم العالي الفلسطينية، واختبارات اللياقة الصحية والقدرات والمقابلة الشخصية التي تجريها الأكاديمية».

يوم دراسي شاق!

بدوره د. عبد الناصر القدومي، نائب الرئيس للشؤون الأكاديمية، وصف لنا أجواء الأكاديمية فقال: «بعد قبول الطلبة في الأكاديمية يخضعون لدورة مكثفة مدتها ٤٥ يوماً، يتعرضون خلالها لمختلف اختبارات الصبر والقدرة على التحمل، مع الانعزال تماماً عن الاتصال بالعالم الخارجي، وممارسة الحياة العسكرية بمختلف جوانبها القاسية». وأضاف: «كل من يجتاز هذه الدورة ويصبح طالباً ضمن برامج البكالوريوس أو الدبلوم، يبدأون يومهم الدراسي من الساعة ٥:٣٠ صباحاً ليلتحقوا بتمارين اللياقة، والطابور التفقدي اليومي، وتناول الفطور، ثم الالتحاق بمحاضراتهم، التي تبدأ في ٨:٣٠ وحتى الثانية ظهراً، حيث فترة الغداء واستراحة مدة ثلاثة ساعات، ويختتمون يومهم بطابور تفقدي، ثم يذهبون إلى المكتبة أو الدراسة أو الترفيه في قاعات مخصصة. يرافق هذا أيام محددة للاتصال بأهاليهم وأصدقائهم، وأوقات محددة لاستخدام الحاسوب والإنترنت.

وحول مدى تحمل الفتيات للاختبارات العسكرية أكد القدومي: «الجميع يخضع لنفس معايير عملية التدريب، سواء بجانبها العملي التطبيقي أو النظري، لا فرق بين شاب وفتاة، بل إن الفتيات أثبتن جدارتهن خلال الدورة المكثفة، فلم ينسحبن، في حين لم يستطع ثلاثة شبان المتابعة».

وأضاف: «يظهر التحسن والتطور على الطالبات بدرجة أعلى من الشباب، رغم أنهن ليس لديهن في الأصل إعداد نفسي وبدني كالشباب».

وحول الدراسة التي قامت بها الأكاديمية، لقياس درجة التوافق بين الطلبة، أوضح القدومي أن التوافق كان جيداً، وبالمقارنة ما بين الذكور والإناث، لم تجد الدراسة أية فروق بين الجنسين. وأضاف أن هناك مؤشرات إيجابية، مفادها أن لديهن القدرة على التكيف تماماً كالذكور، إذا أتيحت لهن الظروف ذاتها، وأن وجود جميع متطلبات الاستقرار لدى الطالب/ة عموماً، تحفزه على الإبداع.

الفتيات ونظرة المجتمع

الطالبتان إيمان السطري ولبنى عليان، واجهتهما التعليقات ذاتها من قبل الأهل والأصدقاء، حين أعلنتا عن الرغبة في الالتحاق بالأكاديمية، حيث قالت السطري، سنة أولى بكالوريوس علم نفس أمني: «لم يتقبل أهلي وصديقاتي خاصة، وأنهم ينظرون إلي بأنني الأنثى الناعمة غير القادرة على تحمل هذا العبء، ولكن بإصراري وإلحاحي نجحت باقناعهم، وهم الآن فخورين بي، خاصة وأنني الأولى على دفعتي، بل إن صديقاتي يحسدنني ويتمنين أن يعشن الظروف التي أعيشها».

وبالحديث عن تخصصها، أوضحت إيمان أن علم النفس الأمني يختلف عن التخصص في الجامعات المدنية، فهو يوظف في الجوانب الأمنية، والتركيز على العناصر الأمنية مثل وضعهم ضمن ضغوط نفسية معينة، لاختبار قدرتهم على التحمل. وبينت أن مختلف التخصصات سواء عسكرية صرفة أو إدارية تتضمن إعداد الطالب ليكون عسكرياً أولاً. وأكدت إيمان أهمية وجود المرأة ضمن الكوادر الأمنية والعسكرية، فهناك بعض الحالات التي يتوجب وجود إناث فيها، مثل تفتيش البيوت وغير ذلك من إجراءات، يستحسن وجود الفتاة فيها بدلاً من الرجل.

أما لبنى عليان، سنة أولى نظم معلومات إدارية من مدينة رام الله، فنصحت الفتيات الفلسطينيات بعدم التردد في الالتحاق بالأكاديمية وقالت: «معروف عن فتيات فلسطين أنهن قويات ومناضلات ويتحدين الصعاب، والأكاديمية فرصة لا تعوض لتعزيز وتأكيد هذه النظرة، هذا عدا عن أن الأكاديمية تمنحهن شهادتين؛ شهادة علمية من التربية والتعليم، وشهادة أمنية وعسكرية من وزارة الداخلية، وهو أمر غير موجود لدى الجامعات الأخرى في فلسطين».

شخبطة أنثوية

هل سقطت زهرة عمري؟!!

حسناء الرنتيسي

إنها تحتفل بيوم ميلادها لأول مرة منذ عرفتها، اصطحبتني لنحتفل سوياً، دون صخب الاسئلة الهامسة التي تحمل أجوبة صاخبة، نرى بريقها في عيون من حولنا، هكذا وصفت لي شعورها عند حضور أي حفل او تجمع عائلي، وأخذت تتحدث مداعبة خاتماً يتوسطه حجر أزرق، تحركه وكأنها تبحر في زرقته، محتفظة بوجود جسدها في المكان. في عينيها بريق، قد يكون بريق دمعة تقاوم السقوط، قالت: «أتعرفين يا صديقتي، أنت أول واحدة تفرح بعيد ميلادي، ذكرت أهلي بعيد ميلادي ليقولوا لي كل عام وأنت بخير، أمي دمعت عينها وكلهم كشروا، خالتي تقول لي كمان بتذكرينا، اللي زيك أولادها يحتفلون بعيد ميلادها، وأنت حتى الآن مثل سندباد، من بلد لبلد، شاطرة تحكي عندي تكريم وتخرج، خلي شهاداتك ينفعوك خالتي». تقول صابرين: «شعرت وقتها برغبة بالصراخ في وجهها، وفي وجههم جميعاً، قلت: هل أنا مذنبة لأني كبرت سنة؟ ردت أمي: كم مرة قلت لك يا ابنتي البنت تسقط زهرة عمرها بعد العشرين، انت ما بتغاري من صاحباتك اللي صاروا أولادهن في المدارس؟!! قلت: لا، ما بغار، بالعكس، أشعر أنني أسعدهن جميعاً، على الاقل أنا ناجحة في عملي وحياتي، وإذا كان مقدر لي أن ألتقي بالشخص المناسب الذي يحترمني ويقدرني، سوف ألتقيه، وليس مثل صاحباتي اللواتي انجبرن إما لترك جامعاتهن واللواتي ممنوعات من العمل أو مسموح لهن العمل لكن فقط معلمة في مدرسة».

صابرين تطفيء شمعة ميلادها الثامنة والعشرين، تهدي نفسها كعكة عيد الميلاد، ودمية تحمل عصا سحرية في يدها، تغلفها وكأنها تهديها لشخص آخر، تحمل مشاعراً متضاربة، هيئتها الخارجية تظهر بهجة وسعادة لا مثيل لهما، أما عيناها فتبحران في عالم الصمت لوهلة، ثم تعاودان الرسو على شاطيء الواقع. تقول: «لما اروح على عرس او اي حفلة، بحس الجميع بتطلع علي بنظرة شفقة، ولما أهنئ وحدة بعرس ولا مولود جديد ببادلوني نظرات غريبة، وكأنهم خايفين يجرحوني أو خايفين احسدهم، غير كلمة «الله يستر عليك»، لهيك قررت أحتفل بعيد ميلادي، وأهدي حالي هدية، ورح أضل أحتفل بعيد ميلادي كل سنة». ثم أضافت مازحة: «انت شفتي زهرة عمر واقعة عالأرض». ضحكت وقلت: أكيد لا، بالعكس شايفها منورة وشامخة؟ فقالت: إذن لنطفئ زهرة عام مضى، ولنضيء زهرة العام الجديد، كل عام ونحن أسعد فتيات أيها المجتمع..

ظل راجل ولا ظل حيط

دعيت لحضور ورشة عمل في منطقة البالوع، كانت الشمس حارقة، شعرت بالرغبة في الاعتذار عن الحضور، إلا أنني قررت الذهاب في نهاية المطاف، سرت متجهة لمكان عقد الورشة وأنا أغطي وجهي بصيحفة لشدة الحر، وأحمل عبوة مياه باتت تغلي من شدة الحرارة، بينما كنت أسير، فاذا امرأة تمسك يدي وتطلب عبوة المياه، طلبت أن تشرب وتعيدها، قلت لها، هي لك خالتي، لكن لماذا عيناك حمراوتان بهذا الشكل، تجنبي الشمس في هذا الوقت، تبدين مرهقة، فأخذت تبكي وتقول، مضطرة لأبيع الجبن، واذا لم أبعه كله يضربني زوجي ويلقي بي وبأولادي في الشارع، سألتها: ماذا يعمل زوجك؟ قالت: «زوجي بشتغل فيي وفي الأولاد، شاطر يعصب ويكسر، الله وكيلك ماني ملحقة شرية كاسات وصحون منه، بكسرهن لأنه مش دافع حقهن، الله عليه الظالم يا خالتي، لو تعرفي قديش بنبسط لما اشوف بنت متعلمة، الله يسامحه أبوي، طلعني من المدرسة وجوزني عشان يتريح من مصروفي، كأني كاينة مكلفته إشي». سألتها: إذا كنت أنت العاملة في البيت، وزوجك سيء ويتعامل معك ومع أولادك بقسوة، لماذا لا تتركيه وتعيشين أنت وأولادك في مكان آخر وخاصة أنك أخبرتني أن البيت الذي تسكنونه بالإيجار؟. ضحكت بسخرية وقالت: «الله يرضى عليك يا بنتي، شو بدك الناس تحكي عني، بعدين ظل رجل ولا ظل حيط.

علاقات خاصة

نهاية الطيراوي

لحظة من ساعات المجهول تختبيء خلف ذاكرتي لتحاورني بصمت، وتسألني ألا يكفي أربع سنوات ليودع حبه القديم، وينوي فتح صفحة جديدة مع زوجته، التي تسانده في عمله وترعاه في بيته، وترحب به على فراشها وتأخذه بين أحضانها بكل ود وحنان.

نعم، أحتار في الحوار مع كل أعضائه التي تسهر لتلبي حاجاته بأنواعها، فعقلي يداخلني قائلاً: يحترمك، يجيبه قلبي بالنيابه عني: لا يكفي ولا حتى كلام الحب والمداعبات، فأنا أشعر في كل لحظة حميمة أنه لا يتجاوز الماضي، بل ألمسه يسرق من بين أجزائي لحظات، ليصل إلى نشوة الماضي الذي يتناقض مع ذاته وذاتي، فأنا لست الماضي، وأنا لست هي، وهو ليس حبيبها، إنما زوجي أنا.

جلست وفكرت، ووصلت لدرجة كافية من التخبط النفسي والروحي، فالجدل المستمر بين قلبي وعقلي أرهقني، وبعده غير الملموس عن كنفي يدمر عاطفتي، فهناك في زواية مشاعري شيئ يجذبني وينتقص من كرامتي، عندما أتذكر أنه نادني عن طريق الخطأ باسمها، وكم تمنيت لو فرويد يعيش حتى الآن لتوجهت له وسألته: هل هي الآن تتربع على عرش اللاشعور في العقل الباطني لزوجي؟ أم هي هفوة لسان غير مقصودة كما بررها!.

حاولت التناسي بصعوبة مريرة، مع وجود جرح أعطاني إنذار بعدم وجود الحب الكافي بيننا، مما جعلني أفقد الثقة بنفسي، وازداد الأمر تأزماً، عندما فتحت شاشته الإلكترونية (الكمبيوتر) وتفاجئت بصورتها في إحدى الملفات، وصدمت بإضافتها على الفيس بوك، والإحتفاظ بإميلها ورقمها.

مسحت كل ما يتعلق بها، وتمنيت لو أنني أستطيع إخراجها من مجسم الألوان والفلاشات الصورية لأسالها: هل تحبينه؟

أتوسل إليك ان تتركيني وتتركيه، فأنت كابوس يقلل من قدري في بيتي، ويخطف الراحة من زوجي ونفسي، كم اتمنى أن أخاطبها لأشعرها بأنها يجب أن تختفي من حياتي، وتعطيني الفرصة لأسيطرعلى قالب حياتي الزوجية، الذي اخترته ورغبت أن أصنع نفسي به، وتمنحني مساحة أثبت وجودي في قلب زوجي، الذي أحببته بصدق وإخلاص.

ومرت الأيام وصمت المشاعر يطارد هواء البيت، متخللاً كلمات الألغاز والإتهامات الزوجية، بقي الحال على ذلك المنوال حتى قرأت على هاتفه رسالة نصيه تعايده بها، متمنية له حياة سعيدة، عندها قررت أن ألقي بغضبي عليها، وبعد شجار طويل مع زوجي هددته بطلب الطلاق، في حال منعني من التحدث معها.

أخذت هاتفه وطلبت رقمها، ردت ببرود وسألت باستغراب من أنت؟ قلت: أنا زوجة (ل)، وبارتباك واضح قالت: «تشرفنا»، ثواني هدوء ألتقط نفسي، وبدون تفكير وربما بهداية إلهية غير معتادة التصرف بها قلت: رغبت أن أشكرك على الرسالة التي بعثتيها لزوجي، وأضفت، أتمنى لك حياة سعيدة، ثم ودعتها بشكل طبيعي وانتهت المكالمة.

لكن غيظي لم ينته، بل تغير مساره إلى عيون زوجي، الذي ألهمته كل مشاعر الحب والاحترام، والذي كان ينتظر بتوتر أن أصرخ أو أشتم أو حتى أكسر ما في البيت على رأسه أو رأسي.

لكني بصرخات داخليه صامته، لم يظهر منها إلا الدموع على وجهي سألته، هل أخطأت لأني تزوجتك وقلبك يعاشر حبه القديم ويحتفظ بكل أوراق الماضي؟

ألا تخجل من نفسك أن تنتهك جسدي لغريزتك البشرية، وتهبه الاحترام والحنان وقتما تشاء، وتهجره من الإخلاص والوفاء؟

وما ذنبي أن أقع تحت أحافير علاقتك السابقة بدون رحمة؟

وأكملت، لا أريد أن أجادلك، بل سأتركك تفكر لأنني لا أهتم بسماعك، فأنا رأيت وسمعت ما يكفيني، وأذكرك لو كانت لي علاقة سابقة في أيام ما قبل المراهقة من براءة الطفولة، وحاولت إنعاشها بعد زواجي، لن تتواطأ في طلاقي ونشر قصتي على ألسن الأقارب أوالأعداء والعقارب.

وبعيداً عن التركيبات العقلانية والفلسفية، أو حتى المبررات الإجتماعية، أنا لا أخاف عيش مرحلة جديدة، تكون فيها بالنسبة لي علاقة سابقة، أندم لارتباطي بها.

هذه القصص القصيرة فازب بالجائزتين الثالثة والرابعة من مسابقة عائدة للمبدعين الشباب من طلبة الجامعات

«سوبر ومن» حياتي

هند باسم شريدة

دخل يتمي عامه الثامن، وأنا الآن كبيرة بما يكفي لأتيقن هول ما حلّ بنا كعائلة (نصر الله). طوال السنوات التي خلت، كنت الشاهدة على حرمان أمي وأخوتي الثلاثة من الأب. كنت أرى دوماً ذلك الصدع الداخلي الذي شق حجاب هيكل بيتنا الصغير يوم غادرنا أبي، لكن الأمور تبدو أوضح الآن. أذكر ذلك اليوم جيداً، ليتني أهشم ذكراه من رأسي، يوم شيعنا جثمانه، وتجرعنا المر جميعاً. صرخت أمي بتمزق داخلي، ثم رثته بصمت ودموع، عانقت صليبها الثقيل وأوكلت الرب مُصابها. كان صدى الخبر فجيعة عليها وعلى الجنين المختبئ في أحشائها، فهمت تحسب ما تبقى لها من أشهر قليلة، لتستقبل بعدها أختي (بسمة)، التي كانت قد استوطنت رحمها خمسة أشهر حينها.

في ليلة الجنازة الباردة، لفنا الموت جميعاً. بدا القدر وكأنه يخيط لنا أكفاننا ببطء شديد، وارتسم المستقبل أمامنا صحراء قاحلة. اتشحت أمي بعدها بالسواد سنوات عدة، حاولت مراراً أن تخبئ أمامنا ذلك الصقيع الذي اجتاح أزقة روحها، من بعد ذلك اليوم المشؤوم، لكنها لم تفلح معظم الأحيان.

لطالما حبست دمعتها أمامنا، لكني كنت أتنبه لحشرجات صوتها وهي تتلوى حسرة ووجعاً، من الحمل الثقيل الملقى على كاهلها، وقد صرنا خمسة في المنزل.

لقد كان ترتيبي الكبرى، وعمري آنذاك لا يتجاوز (١٣) عاماً، وأختي الثانية (ليلى) تصغرني بعام، والثالثة (مريم) ابنة التسعة أعوام، وآخر العنقود المدللة (بسمة). ذهبنا جميعاً إلى مدارس خاصّة، الأمر الذي زاد من المصاريف التي لا تنتهي، من فواتير وأقساط وتأمين لقمة العيش لأربع بنات، يتطلبن المزيد دوماً، ويتوقعن الحياة مغطاة بالسكاكر والحلوى.

حين توفي والدي، كانت أمي تبلغ (٣٢) سنة، بشرتها خارطة لوطن مهجور لم يُكتشف بعد، قوامها معتدلاً، شعرها حالك السواد كليل أبكم، تتكحل عيناها بالدموع عند ذكر اسم أبي، تغرق بعدها في صمت طويل، تكسره بابتسامة مصطنعة، تحاول من خلالها تخفيف كربتنا وتخدير ذاكرتنا بمورفين الفرح المؤقت.

الآن وبعد ثمانِ سنوات، وقد صرت ٢١ عاما، أراجع شريط الذكريات التي أمضته بصحبتنا، مواظبة على حب أبي بحضور ذكراه، التي ما فارقتها البتة، وبالمحبس الذي لم تخرجه يوماً من أصبعها. كيف استطاعت بحق السماء أن تنزع من الترقب الضجر وهي تشهد نمونا أمامها؟!

لا تبارحني عدة صورٍ من ذلك الشريط، عندما يقرع قلبها كطبل أفريقي مجنون، وتستشيط غضباً لفرط خوفها علينا عندما نتأخر بعد السابعة مساء، وعندما تهرع مستنجدة بالصلاة كلما أوغلت سحابة مظلمة سماءنا.

مهما جردت قلمي ونزعت عنه كساء الصمت، لن أستطيع أن أمنحها فصاحة ما تستحق. كثيرة هي الليالي التي سهرتها متنهدة زفراتنا، ومزخرفة طرقات مشوارنا الصعب بالصبر والعزيمة، فكانت لنا نبراساً مضيئاً في الظلام وعكازاً لجميع العثرات التي مررنا بها.

قدمت نفسها قرباناً على مذبح الحياة القاسية، واتخذت عملاً تستطيع من خلاله تربيتنا، فكان بيتها أولويتها، ويشكل الحد الفاصل لعالمها الصغير، بين المنزل وعملها في مكتبة (شاربين). لا أنسى سجداتها الكثر كل يوم وهي تتعبد فجراً، وتدعي لنا بالكثير من النجاحات، وتضيء لنا شمعات الفرح والأماني المستقبلية.

تمرّ محطات بمخيّلتي، أشهد أنها كانت مساندتي الوحيدة فيها. آخر موقف يعود لمحنتي السنة الماضية. لا أدري كيف اكتشفتني متلبسة بيأسي. عانقتني بحنان لم أعهده أبداً، يوم بكيت وبحت لها بحب زميلي المتعجرف في الكلية. أضحك عندما استذكر شتمها اسمه، وهي تربت على كتفي، وتأخذني في حضنها الرؤوم، وتحفر كلمات عزاء كالازميل في قلبي: «إن الألم هو الخبز الثاني للإنسان، فهو يصقل ويكبر. لا تكترثي لذلك المعتوه الذي لا يقدر عينيك اللوزيتين يا فرحي». كان بودّي أن أحنط الزمان هناك، فقد كنت أعيش أبدية من الحنان بين يديها.

لا أعرف كيف تبدد صقيع الأيام لي ولأخواتي، وما هو السحر في كلامها الذي يهدئ من روعنا دوماً، حتى عندما يقرص الخوف أطرافنا وتشكنا الحياة بخنجرها، ويثقلنا الحزن من قسوة الأيام الفظيعة، تطلع كالمارد بيننا، تشحننا بطاقة أيجابية، مع بركاتها ودعواتها الدافئة. ما زلت لا ادري كيف تكشفنا متلبسين بيأسنا!

لا أنفك عن نسيان تبخترها، وكيف مشت كطاووس مهيب في تخريج (مريم) المدرسي، عندما حصلت على شهادة شرف. أبتسم كلما أتذكر كيف رمقت الأمهات الأخريات بتكبر وفخر كبيرين، كأنها سيدة الكون.

لا تغيب عن مخيلتي تلك الليالي الخمس التي تسمرت فيها بجانب (ليلى) يوم مرضها ومكوثها في المستشفى، قضتها يقظة مسعورة باللهاث والدموع، وهي تهذي بالصلاوات، لتتيقن من صحتها وتطمئن عليها.

أستحيل حباً آخراً غير مشروط كحبها. كم تشبه هيكلاً متقداً بنار حب مقدسة نحونا. وكم طالعت أوقاتاً منسوجة بالأشواك مع أربعة أكوام من اللحم، وحدها في عالم ينهش الأنثى ويستضعفها!

أنا الآن في الأشهر القليلة قبل تخرجي من الجامعة، أستعد لمشاركتها فرحتي الكبرى.

فيا حبذا بزوغ وجهها لكي ألمح مولد خطواتها أمامي، لتوجدني نظراتها وأنا أعتلي المسرح. أتخيل المشهد بشغف، لا أعرف لكني متأكدة من ذلك الحزن البهي الذي سيتلبسها، وعودة ذكرى أبي لتتسكع على مدخل روحها، لكنها لن تخذلني، وسرعان ما ستصفق لي وتدهشني بزغرودة مهللة فرحة.

أمي،(سوبر ومن) حياتي والمفضلة لدي، أصلّي بخشوع لكي تكون آخرتي بين فردوسها المخملي «يديها»، لأهم بتقبيلهما. آه كم أجثو لقدسية نفسي الشقية بيدها المباركة.

أمي.. القلب صغير والحب كبير، يا له من احتواء غريب، إلا أن حبي لك لا تحتويه كلمات.

للتي علمتني النطق بأحرف العربية
وصفقت لي عندما أتقنت الأبجدية
وحفرت قبلة على جبيني عندما نطقت كلمة (وطن)
ووضعت لي علامة عليا عندما أجدت القراءة والكلام
الى تلك ألبستني معطف الدفء والحنان، وملمت فوضاي المبعثرة
وتمتمت أهزوجة في غربة ليلي
لمن حاولت إسدال ستارة الشدة بالعبوس أمامي
لمن أتقلد حبها وساماً ونيشاناً بفخر واعتزاز
إلى ملكتي وحليي وتاج رأسي
طوباك أمي
فما عساي الا أن أضم الشين وأسكن الكاف وأفتح الراء وأنون الألف، وأربطها برباط من المحبة والتقدير لتكوين كلمة (شكراً لك أمي).

السجن

رؤى عباس محمد علي

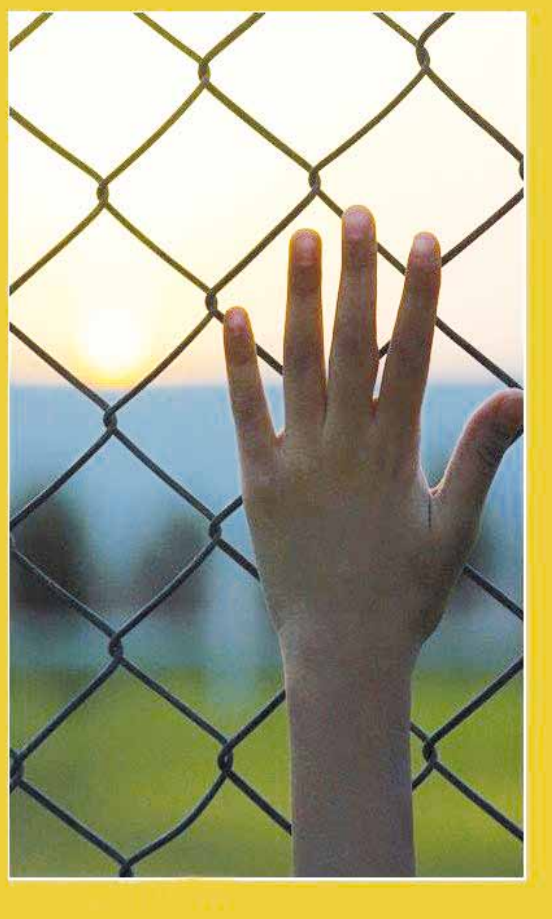

الظلمة تزداد اتساعاً، ستار الأنفاس المترقبة يتطاير تباعا، يهيج في عتمة المكان، مسدلاً هالة رمادية تزداد توغلاً في لجة العتمة تلك. جميعهن ينظرن إليها، وهي ما تزال قابعة في سريرها، تصارع ألمها المجنون، ترفض الخضوع له؛ بل وترفض إخضاع نفسها لواقع من حولها. كانت كل النساء المتحلقات حولها ينظرن إليها بعجب أخرس، فالآلام تتقاذفها تباعاً، وسعاد ترفض الانصياع! تجتر صمتها وترفض، وكلما ازداد الألم كانت عتمة السجن تزداد ضيقاً عليها، وتزداد النساء التفافاً حول جسدها المهشم، أحسسن جميعاً بأن الموعد قد حان، ولكنهن لا زلن ينتظرن شيئا آخر! أخبرت إحداهن السجانة أن سعاد بحاجة لطبيب، فالموعد قد حان، ولكن السجانة لم تلق بالاً، فسعاد أسيرة صمتها المجنون.

كان كل شيء فيها ينتفض، جسدها، أنفاسها، أحشائها المتآكلة، وحتى سريرها الصدء، أخذ يصدر أصوات الرفض تلك، لم تعتد الخضوع من قبل، وحتى أشهر السجن الستة التي انقضت، لم تسرق من عزيمتها شيئاً سوى الزمن، وقليل من ثنايا الألم الفطري، الذي أخذ ينمو في أحشائها مع كل رشفة هواء ابتلعتها، لتتقاسمها معه.

حاولت أن تصمد، أمسكت دقات قلبها لعلها تتوقف عن التأرجح، ولكن قلبها المتلاطم أخذ يزداد اتقاداً، راح يعلو صرير جسدها، تتناثر أصداءه في عتمة المكان، واكتسح الصمت أفواه الجميع، تكومت الظلمة حول جسدها، اكتسحت المكان، وراحت تلقي طقوساً من الهواجس التي أغرقت فسحات السجن الضيقة، أحست بأنها تذوب في لجة الظلمة تلك، حاولت النهوض، مدت يدها، تعلقت بخيوط الرماد المنتشر، وما أن ارتفعت حتى راحت أشباح الظلمة تضغط بزفيرها العفن على ثنايا جسدها الهش، لتعود بها إلى نقطة البداية، إلى الحركة الأولى، البسمة، الضحكة، الصرخة، الدمعة... ، إلى اليوم الذي انطلقت تركض فيه في الاتساعات اللامتناهية من بيادر القمح، إلى فضاءات الفسحة الممتدة على صفحة الأرض، كانت الأيام تتراكض في هاجسها المغيب، تلت صفحات عمرها واحدة تلو الأخرى، الأحلام، السعادة، الحب، محاولة التغير، ركام المنازل، بحثت في صفحة حلمها، أين منزلي؟ تساءلت وهي تلملم ما تبقى لها من أشلاء حلم، ثم طفلي الذي يحتضنه رحمي أين سوف يسكن؟ قالتها وراحت الأحلام المتهاوية تتساقط أمامها كركام منزلها، أخذت الأحاسيس تتقاذفها، ثم صرخت أين زوجي؟ أين اختفى؟ وانطلقت فيها انقباضة أخرى، لتطلق صراخها في زوايا السجن، لحظتها اكتسح الجميع صمت غامض، وعلت النساء حولها نشوة غريبة، فسعاد الآن والآن فقط، استسلمت لآدميتها كأم، وارتمت كقطعة خشب هرمة، كان الهواء يتمايز في تلابيب جسدها، أخذت معالمها تتلاشى، ترحل مع الريح ، تستيقظ من غفوة لتغرق في أخرى، تفتح عينيها مع كل انقباضة في جسدها، تنتظره ليخرج وتعود لتصمت، فهي لم تتعود صوتها الذي انطلق فجأة وخفت!

أخذت تغرق في هالة ألمها، توقف جسدها عن الأرجحة، غفت في غيبوبة سوداء، لم ترى فيها أحداً، بحثت عن حدود الجدران، المساحات الضيقة، النساء القابعات معها في السجن، ولكنها لم تجد أحداً! وفجأة التمع نور في صفحتها السوداء، أنار المكان حولها، حاولت الاقتراب منه، اقتربت واقتربت، وعندما حاولت الإمساك به، صرخت بكل ما فيها من قوة، امتزجت صرختها بالحزن والسعادة، الألم والقرف، الانعتاق والحبس، لم تع شيئاً، أرادت فقط الانعتاق من غيبوبتها السوداء، لحظتها فتحت عينيها، أحست بغرابة المكان، حاولت تحسس جسدها فلم تستطع، أرادت البحث عن الانتفاخ في بطنها فلم تجده، اكتسحها الهلع، حاولت النهوض، وجدت جسدها قد كبل بالأصفاد التي رمت بها مصلوبة على السرير، صرخت وصرخت، أين ابني؟ أريده، أريده الآن، اقتربت منها السجانة، نظرت إليها وهي تبتسم وقالت: أخيرا سمعنا صوتك، ابنك في الغرفة الأخرى سنحضره لك، انتشت سعاد بسماع كلامها، وارتسمت على شفتيها ابتسامة غريبة الملامح، وراحت تردد كلمات غريبة وكأنها طلاسم، أحست بأنها تتعلم الكلام لأول مرة، لم تفهم السجانة شيئاً مما تقوله سعاد، وأحضرت لها طفلها الذي أطلق صدى صوتها المتحجر منذ سنين، بعد أن أمطر على شفتيها السعادة.

بين الحرّية والتحرر في السرد النسائي العربي

الكاتب أحمد فرحات

«إن درجة تحرر المرأة تصبح بكل بداهة مقياس التحرر العام»

شارل فوريه

لم يتطرق النقد العربي الحديث لموضوع المرأة، انطلاقاً من نظرة لم يستعمل من آلياتها ذاكرة الوعي العربي، لاستنهاض سجالية ذكر / أنثى، وبذلك حُدد الإبداع النسائي من ضمن الاستفراغات النفسية لمكبوتات الذات النسوية في مواجهة انطولوجيتها، من ذلك اعتبَر النقد الذكوري، مجمل المنتوج التخييلي للمرأة كحوار داخلي، لا يرقى لاستشراف «مدينة أفلاطون» كنمط تعبيري لتوسيع دائرة الإنغلاق حول الذات، وبالتالي انتقاد الواقع المعيش واستلهام تغييره.

إن رد الفعل «التحرري»، الذي حام حول الكتابة النسائية، طبع الصورة الفنية للنص الأدبي النسوي بفيض الأحاسيس الجياشة، التي جعلت النقد المواكب له يقيمه بمستواه العاطفي، عوضاً عن تقييمه انطلاقاً من تركيبته المتخيلة، من حيث أن النقد ليس فعلاً في متناول أي متمرد، لأنه عمل فكري إجرائي شاق. فلما نقارن المتخيل الأدبي «النسوي» بنظيره الذكوري، تطفو تلك الهيمنة القوية للأدب «الذكوري»، التي تضع تمايزاً جنسياً مفارقاً يصعد من استرقاق الأدب النسوي لاحتلال الهامشي، يدعم كل هذا ما تختزنه الذاكرة العربية من إرث يضم مجموعة من التصورات، التي ارتبطت بالمرأة منذ القديم، والتي حولتها إلى حضور ضعيف في المجتمع، أو سلبي في الفعل الإنساني. و لما شكلت المرأة محور الاهتمام داخل بنية المتخيل الذكوري، اتبع النقد الأدبي نفس المنحى لتنميط المرأة، كمحركة لأعماق الإبداع كموضوع، وابتعد عن فهم إمكانية صناعتها لمتخيل خاص بها، وقد نجد عمق هذه السلبية النقدية، تعود إلى اعتبار الإبداع عند المرأة من جملة المظاهر التي تبلورت ضمنها عملية تحرر المرأة، من ضغط سلطة الأحكام الموروثة والسلطة الرمزية للرجل.

لا شك، أن المرأة الكاتبة، ستجد بعد تلمُّسها لواقع الخطاب الأيديولوجي الحديث، احتواءه على متناقضات لا ينتج من ورائها سوى اغتراب جديد، ينضاف إلى غربتها التقليدية داخل المجتمع. إن حاجة المرأة للكتابة، استدعاها التفارق المفاهيمي والمعجمي بينها والرجل، الذي كان يستكفيها وصف حاجاتها إلى الكتابة، إن هذه الهوة التي جعلت المرأة لا تكتفي بشهامة العشق، ولا بالثقافة المأساوية التي ينتجها الرجل، حيث القليل من المتعة والكثير من الرقابة والعنف والكبت. وقد تساءل رولان بارت بعدما جعل موت الأب يحرم الأدب كثيراً من لذائذه، عن الحاجة إلى رواية القصص فقال «ألا تعود كل قصة إلى الأوديب؟». قد تجيب الأنثى على رولان بارت انطلاقاً من عمق الصياغة التأبينية للاستعارات، إنني إذ أكتب، فلكي لا أرى انتصاب الطوطم بأحلامي. إن فحولة الطوطم لا تطرد الكتابة، إن الخفي من الطوطم يشكل جوهر الكتابة النسائية، إن ثنائية الصائد/ الفريسة، تلعب دوراً في فهم الهندسة الجنسانية داخل وسطنا التقليدي، الطوطمي النزعة من حيث مقابلتها بثنائية ضدية أخرى المرأة/ الكيد .

إن ثنائية الصائد/ الفريسة، تجد مدلولها داخل مؤسسة العزوبية، على اعتبار أن الأعزب يمثل دور الصائد أمام الأنثى، التي تلعب دور الفريسة، وكعزاب، تجد هذه الصور مكانتها في عمق ما يمتلكه أطراف الثنائية عن ذاتيهما. ومن غرابة هذه الثنائية، أنها تأخذ عكس مدلولاتها داخل مؤسسة الزواج، بالعلاقة مع سلطة المرأة الكيدية، فيصبح الرجل فريسة والمرأة قناصة، ومن ذلك يستلهم الرجل/ الفريسة كل وسائل مقاومته لهذه الشيطنة، باستدعاء كل السُّلط الدينية والاقتصادية والسياسية والثقافية، في مواجهة سلطة الكيد الأسطورية، التي تُنسَب للمرأة التي تعطي الانطباع، إن على مستوى السلوك أو مستوى الأخلاق بأنها طريدة سهلة الاقتناص وبالتالي سهلة العريكة والانقياد ، تقول فاطمة المرنيسي: «بحيث يتيسر فهم الهندسة الاجتماعية السائدة حالياً في هذه المجتمعات، سواء على مستوى الأسرة أو توزيع المكان بين الجنسين، في علاقتها بسلطة الكيد التي تتوفر عليها المرأة. ويبدو النظام الاجتماعي كمحاولة هادفة إلى كسر شوكة هذه السلطة، وتجميد مفعوله الهدَّام».

إن توزيع الأدوار من خلال ثنائية العزوبة/ الزواج، تجعل المؤسسة الأولى (العزوبية) سائدة، خاضعة لنمطية الدور البدائي، المجسد في البيولوجي، الذي تقوم مماثلته بالحُوين المنوي في اختراق البويضة. أما المؤسسة الثانية، والتي تحقق ذلك التنافس الرائع حول السلطة، لا تعترف به الثقافة السائدة، المعتمدة على أنموذج تركيبي للنساء، باسم القيم الدينية والمجتمعية. و إذ نُسقط هذه الثنائية على تجذُّر وفرادة الكتابة النسائية من حيث أصالتها، نجد أن الكاتبة/ العزباء، تثير في النص الأدبي ثوريته الممكنة والمفتوحة، على إدهاش لا يُسقط حق المتعة من حسابه، بما فيه التعري أمام المتلقي.

أما ثنائية الكاتبة/ المتزوجة، فإنها تعكس هوس المرأة بالبحث عن الحرية، ونزوعها إلى كسر قيود السلطة الذكورية، الشيء الذي كان يطبع المساهمات الأدبية للرائدات بطابع التحدي، فتصبح المساواة بالرجل هي الغاية، التي تهدف إليها المرأة، بينما المسار السليم لنضالها يتحدد باحتلال موقع في المجتمع، وفتح علاقة مباشرة معه.

إن التابوهات التي تحيط بالمرأة ضمن هذه الكتابة قوية الحضور، تمارس الحصار الطُّرودادي على جسد الرجل، حيث لم تجد من إمكانيات للتحرر من قبضة النظرة الذكورية، سوى ممارسة منهجية الابتسام. إن الانتماء إلى ثنائية الكاتبة/ المتزوجة، وخاصة في الفترة التاريخية، التي لم يكتمل فيها نضج تجربة الكتابة النسائية، يطرح أكثر من سؤال عن دور عامل مؤسسة الزواج في نضوب معين الإبداع لدى المرأة. كما يظهر التساؤل، وانطلاقاً من الدور التحرري والاجتماعي، الذي كان يقوم به هذا المنتوج الأدبي النسائي كخصوصية، نجد الجواب يفضي، أنه كلما تقدم الوعي الاجتماعي، تضاءلت الأهمية الذاتية للأدب النسائي لاعتبارات عامة، تصبح فيه معاناة المرأة جزءاً واقعياً من معاناة المجتمع ككل، وعلى حد تعبير شارل فوريه: «إن درجة تحرر المرأة، تصبح بكل بداهة مقياس التحرر العام». ولهذا، كان ذلك ما يحمل على الظن، بأن آثارهن الفنية إنما هي نوع من تسامي الدوافع الجنسية أو دوافع الأمومة.

دلت كل المقاربات التي تطرقت لموضوع المرأة، إن على المستوى الفقهي كتشريع، أو على مستوى الخطاب اللسني المعبر عنه من خلال الإنتاج الأدبي بكل أصنافه التعبيرية، عن تعامل حذر اتجاه المرأة، زكّاه التعاطي الميثولوجي للمجتمع معها بمرّ العصور، على اعتبار أن الرجل هو الأصل، والمرأة هي الفر ع.كان ذلك مع ظهور الدين اليهودي، الذي غير النظرة الوديعة للعصر الأميسي إلى المرأة (حواء)، التي أصبحت تجسد الخطيئة، وتحدد لنا سن اليأس الأزلية للرجل (آدم)، الذي ولد حواء من ضلعه، كأول ولادة وآخرها، بعد أن انتقل فعل الولادة كعقاب إلهي إلى حواء، وقال للمرأة تكثير أكثر أتعاب حبلك، بالوجع تلدين أولاداً..». بينما كانت ولادة آدم الأولى ولادة إلاهية من نوع التكاثر الملائكي الروحاني، كان آدم واسطة لها فقط «فقال آدم المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت». وتذكر القصة أن آدم قبل ذلك كان ملاكاً خالداً في الجنة لا يموت أبداً، ولم يبق له كعلاج للموت إلا التناسل، فالجسد الأنثوي هو المكان المركزي، الذي يبدأ منه إيقاع المحاذير، ينطلق من الأسطورة ليتوالد فيه المعنى داخل الوضوح الاستراتيجي لعناد النص، الذي أباح تخلف حواء، رغم أنها أول من أكل من شجرة المعرفة، فطَردُ آدم من الجنة، يدل على حصول إمكانية حواء للوصول إلى شجرة المعرفة قبل آدم، من ثم أقيمت حراسة إلاهية حول المعرفة الخالدة، مخافة وصول حواء إليها وتذوق اللذة الميتافيزيقية للسر الإلهي في حالة التَّجلي،»ولهيب سيف تنقلب لحراسة طريق شجرة الحياة».

في وقت كانت أوروبا تعيش تاريخها المظلم، حَركت الملحمة الشعبية (ألف ليلة وليلة) وثنية موضوع المرأة لدى المستشرقين، لما اتُّخذت كمرجع لتفسير حياة العربي كمفتاح سحري لشخصيته. فالظاهرة الشبقية في نص ألف ليلة وليلة، هي تمثل لثقافة غربية تمتحن من نسقها المبني على استمتاع القارئ «بلبيديته»، وقد انساق العديد من الباحثين العرب مع هذا المعطى الانسياقي، والخضوع لرؤية غربية، ارتكزت على الهامشي بهذا النص، فالتفسير المقنع لتلك الظاهرة، هو غياب الوعي بأهمية توطين هذه المناهج في نسق الثقافة العربية الإسلامية، ومحاولة إيجاد قيم نقدية تعيننا على فهم المنطق الداخلي لهذه الثقافة، التي نتمثلها وتمثلنا، ونسعى أحياناً لتشويهها، فتفتح أعيننا على سراب الحضارة الغربية. فشهرزاد تروي لكي تحيى، وشهريار يُصغي لكي يتمتع، فالإرسال السردي ينتظم في سياق تأجيل الموت، فيما ينتظم التلقي في سياق الاستغراق في المتعة»لكن شهرزاد تستثمر فعالية السرد الجبارة، فبثت فيها ليس المتعة فقط، وإنما العبرة التي تتسلل خفية في تضاعيف السرد، بحيث تعمل بعد ألف ليلة وليلة على تغيير قناعات شهريار، الذي ما إن تقبل ما روي له في الليلة الأولى، إلا ويبدأ بتقبل كل ما سيُروى له في كل الليالي الألف الباقية». ففض البكارة بالنسبة للمخيال العربي في ألف ليلة وليلة، هو القتل المعنوي للمرأة، بعد انفضاض البكارة، فشهرزاد بعد ذلك كانت تروي لتعيش بنات جنسها، ولتعيد للقيم توازنها المبني على ارتفاع سهم الوفاء الأنثوي، مقابل العدل العام للسلطة، فكأنما دورها الاجتماعي الرائد هو إنقاذ العدل من وضعه المختل بالعلاقة مع الأنثى، ليتبين بعد ذلك إن الأنثى هي الضامنة للعدل، و ليس الاستغراق في المتعة الشبقية. فالاستقرار الأسري مدعاة للعدل ضمن تجليات السلطة الذكورية، أما الوفاء الجنسي للأنثى «الزوجة»، هو دعوة لإعادة إنتاج المجال الاميسي واستمراره، بهذا فالتطهير الأخير لشهريار، ما زالت الحبكة الأنثوية تحيكه على شكل «خلافة/ إنجاب»، لهذا يتبين أن العمق المأساوي للخيانة الزوجية، يقابله العنف البلاغي لاستمرار السلطة الذكورية. إذا كانت شهرزاد تنجو من الموت بعد أن تحكي كل ليلة قصة، فلأن نصها يفتق الهذيان الاميسي، يصعده إلى وعي روائي. إذ تبين كيف يمكن إنتاج الحكايات، فالموت ومغادرة الحدود هما، بالفعل شيء واحد. إن عذرية شهرزاد وهي تذوب في جنون السلطان، تفتح إمكانية كتابة مضاعفة، إحداها منشورة في الحرم الاميسي، حيث الدم، والأطفال، والنظام الطبيعي المتعارف عليه، وثانيتها كتابة تتبع تمدداً غريباً للحكاية، ينسينا القيم والصور الأبوية . وضمن هذا التكرار للصور، ينعقد وينحل الوضع الشبقي، بواسطة شهوة عنيفة ومتقنة، ولكنها مع ذلك تغري بالذوبان فيها.

لا يستطيع أي رجل ديمقراطي إلاّ أن يتواجد في صف مارينا ياغيلّو، في تساؤلها التأكيدي بإحراق القواميس، ويعدُ الأنثى، بحرية لا تنتهي بالبَوح في لغة الجنس والكتابة، ولا يؤسس للصمت في لغة لا تعرف أن تعلّم قول «نعم»، دون أن تفتح الجملة على قولة «لا» وليست «اللاءات» التي مصدرها مدرسة حضارة الرجل. علامات هي تلك الأشكال التي تنتج الغموض والتساؤل حول تجذّر ما هو أسطوري، على الفضاءات الفكرية العذراء. لنُحدث إذن قطيعة مع النظرة الدونية للمرأة، فحريتها السياسية والمجتمعية أصبحت رهاناً كونياً. فالبنية التحتية لتنمية المرأة يستوجب بالأساس خلخلة أصل الاستبداد، وتطقيس الزمن العربي نحو الانفتاح على إمكاناته، عوض الانخراط في تفكيك ماهية ما يُحيل على نُسخة ممجوجة للأصل. فلا يمكن أن نُنَمِّي المرأة وفضاءها وقضيتها، إن لم نقلق الميتافيزيقا وننسف الأصنام والتابوهات المحْمومة، وذلك بتلغيم الثنائيات المُهترئة، ذكورة/ حضارة ، ذكورة/ إنسانية، إذ ليس الرجل هو الإنسان، وليست الذكورة مرادفة للإنسانية، و ليست المرأة جنسا آخراً أو نوعية أدنى من البشر. ليس هناك داخل أصل المعنى اختلاف بين الرجل و المرأة، «فالذين يتحدّثون عن الاختلاف، يشعرون فعلاً بأنهم متفوّقون على الآخرين» كما قال جان جينيه.

لا يمكن أن نضع المبررات لعجز الماضي عن احتواء الاختلاف و التعدد، فالماضي «الآن» و»هنا»، يبيع نفسه كما كان الرجل في السابق يبيع حصّته من الفردوس، مقابل الاستمرار في التعرية المادية لجسد المرأة، فهناك دوماً خسارة تؤكد العنف الرمزي للتُّربة الميتافيزيقية، تجعل الكائن عبداً لنفسه. فالخطاب المتداول حول المرأة «هنا» و «الآن» من قِبَل الرجال، تعتريه نواقص التستر والمغالطة، فهو لا يعكس تفتّح الداخل اللاشعوري، هذه السيكولوجية العرجاء تندرج عقيمة، ضمن الإحياء المُزمن لأزمنة الرق الغابرة. فما زالت المرأة المعاصرة داخل الخطاب الذكوري، رهينة الممارسات المُخاتلة التي تؤسس لامتلاك الرجل للجسد الأنثوي، هذا الجسد وبدون وعيه لذاته قابل لأن يُهان إلى الأبد.

المخرجة الضامن:

«فيلم النكبة» كشف معلومات تاريخية عن قضية فلسطين منذ العام (١٧٩٩)

هيثم الشريف

مخرجة فلسطينية، اهتمت بصناعة الأفلام الوثائقية المعمقة، التي تستند على الجهد والبحث والعمل، فقطفت بذلك ثمار (١٦)ساعة يومياً، لمدة ستة أشهر كاملة، قضتها في إنجاز برنامج وثائقي في أربعة أجزاء، بعنوان «النكبة»، حيث حصلت على جائزة أفضل فيلم طويل يعنى بالقضية الفلسطينية، في مهرجان الجزيرة الدولي الخامس للأفلام الوثائقية عام(٢٠٠٩).

لذا، نسلط الضوء على التجربة الوثائقية للمخرجة الفلسطينية، روان الضامن معدة ومقدمة برنامج «رائدات» في قناة الجزيرة الفضائية، وذلك من خلال الحوار التالي:

* لم تكن جائزة فيلم (النكبة) هي الأولى لك، حيث سبقتها جائزة فيلم وثائقي آخر في مهرجان بريطاني عام (٢٠٠٤)، فهل من اختلاف بين الجائزتين بالنسبة لك؟

– بالطبع، فجائزة عام (٢٠٠٤)، كانت أول جائزة أحصل عليها لفيلم وثائقي، حيث كانت جائزة أفضل فيلم وثائقي بين الجامعات البريطانية، عن فيلم أعددته لرسالة الماجستير، حيث قضيت (٩ أشهر) في تصويره و(٦ أشهر) في مونتاجه. كانت مدته(٢٥ دقيقة)، وقد سعدت بها لكوني مُخرجة عربية تحصل على جائزة، المتنافسون فيها بريطانيون. لكن جائزة (٢٠٠٩) من مهرجان الجزيرة، كان لها طعم خاص، إذ أنها جائزة لفيلم طويل مدته أربع ساعات، وهي عن أفضل فيلم طويل يعنى بالقضية الفلسطينية، حيث اعتمدت فيه على المعلومة الوثيقة، وبالتالي لم يكن فيلماً بالمفهوم الروائي أو الفني، لذلك اعتبره النقاد كوثيقة تاريخية.

* مع ذلك، في أي إطار يأتي التزامن بين إسناد مهمة إخراج سلسلة حول النكبة لك، واستحداث الجائزة في المهرجان لأول مرة؟ بالرغم من أن المهرجان هو في عامه الخامس؟

– في إطار إحياء الذكرى الستين لنكبة فلسطين، قامت شبكة الجزيرة، عام ٢٠٠٨، بالعديد من الفعاليات على الشاشة، من تقارير إخبارية إلى ندوات إلى برامج، ضمن حملة كبيرة أطلق عليها (حق يأبى النسيان). لذا كان أن أسند إليّ مهمة إخراج الفيلم الوثائقي في إدارة البرامج بقناة الجزيرة الأم، وتكفّلت القناة بدعم إنتاج هذا الفيلم، لذلك فإن إستحداث الجائزة في المهرجان ، جاء بمناسبة إحياء الذكرى الستين للنكبة، وليس لأن الجزيرة من أنتجت هذا الفيلم.

* لكن، هنالك من يقول أنها كانت جائزة تشجيعية، وأنها جاءت إرضاء للجهة المنظمة الراعية للمهرجان، والمنتجة في ذات الوقت للفيلم، والمقصود هنا الجزيرة طبعا؟

– مع احترامي، هذا الكلام غير صحيح إطلاقاً. والسبب أولاً، أن الجزيرة في سنواتها الخمس السابقة، لم تفز إلا في السنة الأولى. ثانياً، أن لجنة التحكيم هي لجنة مستقلة عن الجزيرة. وللفيلم الطويل مُحكمون من خمس دول، إحداها عربية، وأما البقية فغيرعربية، من بينها الصين وأمريكا وتركيا. وقد فازالفيلم بالإجماع من اللجنة، كما أبلغت.

* مع ذلك، هنالك من يرى بأن الفيلم باجزاءه الأربعة، قد فاز بناء على تعاطف مع القضية الفلسطينية، وليس بناء على شروط ومعايير فنية مهنية، كيف تردين على هذا الكلام؟

– كان هناك عدة أعمال طويلة عن القضية الفلسطينية، مرشحة ومن دول عدة، لكن فيلم النكبة برأيي، ليس «فيلم مهرجانات»، والمعنى، أنه ليس فيلماً يعتمد على الإبهار البصري، لكنه أيضاً لا يعتمد إطلاقاً على اللعب على وتر العاطفة والبكائيات. هو فيلم قدم جديداً على مستوى المعلومات، وعلى المستوى البصري، فقد كشف عن معلومات عن قضية فلسطين منذ عام (١٧٩٩)، تم تغييبها والسكوت عنها، كما قدم صوراً ووثائق أرشيفية، تظهر لأول مرة على شاشة تلفزيونية.

* بدا واضحاً لمن شاهد الفيلم، أنه مدعّم بالوثائق السرية والنادرة، التي تنشر لأول مرة، بحيث أن بعض الوثائق تطلبت أذون خاصة من أرشيف جامعة أكسفورد في بريطانيا، لكن بصراحة، هل كان متاحاً لآخرين غير الجزيرة، ممن حاولوا دعم أفلام أخرى خُصصت للقضية الفلسطينية، الوصول إلى ذات الوثائق، وأقصد هنا ممن تقدموا لذات الفئة من الجوائز في المهرجان؟

– أعتقد أن مخرجي الأفلام لا يهتمون كثيراً بالوثائق، لأنهم يعتبرونها مادة غير جذابة بصرياً. ومع ذلك فإنه لم يكن سهلاً الوصول إلى وثائق جامعة أكسفورد بشكل خاص، لأنه لا يسمح في العادة لكاميرا مع إضاءة الدخول وتصوير الوثائق الأصلية، هذه ليست صور عن وثائق، إنها الوثائق الأصلية، وهي لأول مرة ظهرت على شاشة تلفزيونية، وقد استغرق الأمر (أربعة أشهر) من النقاشات، إلى أن تمكّنا من تحقيق التصوير ل(٣٠٠) وثيقة، خلال ثلاثة أيام.

* لكن البعض يرى كما قلت أنها موافقة إستثنائية، وأنها لم تكن متاحة للآخرين، من الذين تقدموا لجائزة المهرجان المتعلقة بالقضية الفلسطينية؟

– الباحثون يستطيعون أن يذهبوا، ولكن المخرجين كما ذكرت لا يهتمون كثيراً بالوثائق، ويعتبرونها شيء بارد، شيء ليس له حركة، مع ذلك لا أعتقد أن هناك أناس طلبوا ذلك وصمموا عليه ولم يحصلوا عليه، فإذا صممت على شيء تستطيع أن تصل إليه.

* البحث عن الوثائق في الخارج هل يعود لتبعثر الأرشيف الفلسطيني، ووجوده في بطون الكتب الأجنبية؟ والذي صورتيه على أنه نكبة ثانية؟ وإلى أي مدى شكل ذلك تحد بالنسبة لك؟

– كان تحدياً كبيراً وصعباً، فالأرشيف الفلسطيني مبعثر وغير مجمع، كما هم الفلسطينيون!! لذلك فإن جمع الصور كان صعباً جداً، خاصة أنني حرصت أن تكون كل صورة أرشيفية موثقة، وفي مكانها الصحيح عبر الزمن مئة بالمئة.

* في لقاء أجري معك، قلت: «أنا كإنسان متحيزة للقضية الفلسطينية، كونها قضية حق، لذا نحن ندافع عنها»، السؤال الذي يطرح نفسه هو حول تدخل المشاعر هنا، ألا يُهدد تدخل هذه المشاعر الحياد والموضوعية في العمل المهني؟

– العمل المهني لا يعني أن تعمل بلا مشاعر، أنا متحيزة لقضية فلسطين لأنها قضية عادلة، لكن ذلك لا يعني تحريف الحقائق أو الكذب. إستضفت في الفيلم مؤرخين إسرائليين وبريطانيين وفلسطينيين. حيث أن شعار الجزيرة (الرأي والرأي الآخر)، وبالتالي فقد كان في الفيلم كل الآراء، لكن ذلك طبعاً لا يعني التحيز للمشروع الصهيوني أو الدفاع عن الظلم.

* هل الهدف الحقيقي من إنتاج الفيلم إعادة إحياء النكبة، أم استثمار النكبة فنياً؟ بصراحة، ظهرت جلياً في الجزء الأول من الفيلم (خيوط المؤامرة)، محاولتك إثبات أن تاريخ النكبة يعود إلى ما قبل ال (١٩٤٨)!! كيف ذلك؟

– الهدف الأساسي من الفيلم هو التأكيد على أن النكبة لم تبدأ أو تنتهي عام (١٩٤٨)، إن النكبة بدأت عام (١٧٩٩) ولم تنته حتى اليوم. حيث أن التطهير العرقي الذي حصل عام (١٩٤٨)، كان نتيجة لسلسلة من الأحداث، ولم يكن أبداً بداية، وهذا ما حاول العمل أن يُثبته، فالهدف ليس إستثماراً فنياً، وإنما أن نفهم قضيتنا، التي أدعي أننا نحن الفلسطينيون والعرب لا نعرفها حقاً، رغم اعتقادنا أننا نعرفها.

* وهل استطاع الفيلم من وجهة نظرك إقناع العالم أن النكبة لا تزال مستمرة، بحسب ما جاء في الجزء الرابع من الفيلم؟

– نعم، فالجزء الرابع بعنوان «النكبة المستمرة»، يحاول أن يوضح أن مظاهر التطهير العرقي ومقاومة التطهير العرقي، ما زالت مستمرة حتى اليوم.

* بعد هذا النجاح أو حصد الجوائز، هل تري أن المرأة استطاعت الحصول على كامل حقها في المنافسة والتفوق أمام الرجل؟

المرأة المخرجة أثبتت نفسها، والمرأة العربية المخرجة تثبت نفسها يوماً بعد يوم، صحيح أننا لم نصل إلى مخرجات ميدانيات كثيرات يعملن وينتجن، لكننا في الطريق السليم. والفكرة هي ليست التفوق على الرجل، الأساس هو أن المرأة تستطيع أن تكون مخرجة تماما كما الرجل، الذي يستطيع أن يكون مخرجاً.

* على جانب آخر، بما يتعلق بك، كثيراً ما يأخذ النجاح من الشخصية العامة أو المشهورة، يأخذ أمور أخرى في حياته الخاصة، سؤالي هنا، هذا النجاح في الحقل الإعلامي، ماذا أخذ منك في الحياة الخاصة؟

– حقيقة أنا أشعر بأنني محظوظة، لأنني لا أعتبر بأن عملي المهني منفصلاً عن حياتي الخاصة. حيث أعتبرعملي هواية، وأقضي وقتي في العمل مستمتعة به، وهذه الهواية، تأخذ كل وقتي، حيث أخذتني بالكامل، لأنني عندما أركز في هذا العمل، أنسى كل شيء الطعام، الأهل، الأصدقاء.

* ماذا عن الزوج والأبناء؟

– كل شيء، يعني أعتقد أنني لا أعرف التوازن في حياتي، فعندما أريد أن أكون ناجحة في حياتي بشيء معين، أركز عليه بالكامل، صحيح أنني لا أنصح الآخرين أن يكونوا هكذا، ولكن أنا نفسي لا أستطيع أن أتغير.

* هل أفهم من كلامك أنك نادمة على ذلك؟

– أبداً، أبداً.

* إذن، ماذا تفعلين لوعادت الأيام، وأعيدت التجربة؟

– أعمل نفس الشيء، فالشعور أن هذا الفيلم، أو البرنامج الذي تنتجه كيف يؤثر في الآخرين يعطيك سعادة غير عادية.

إذن لم تبدأ النكبة عام (١٩٤٨) ولم تنته بهذا التاريخ، كذلك فإن للنكبة صور مختلفة، أدناها نكبة الأرض وأقصاها نكبة الضمير.

فقاعة ضوء

صونيا خضر

فقاعةُ ضوء
تَزفُرُ الضَوءَ في فقاعةٍ
إلى أن يأذنَ الهواءُ
تنسحبُ من صحوِ الكلام
لِخربشات ليلٍ يحترفُ نفسهُ
وكَمَن تَحُدُّ منَ ملكوتِ النومِ على سياجِ جفنين
تلُقي بما تبقّى من الحبوبِ والنسيانِ في وادي المرايا
ترقُبُ المشهدَ من عل
كَمَن تحدّقُ في حكايةٍ ليست حكايتها
باهتةٌ لا لونَ لها في مجاز اللون
تعرفُ نفسها من بقايا الكحل
ويعرفها من بلل باغتهُ على ضفافِ البياض
في مثل لسعةِ الضَوءِ، فترتْ في ما تبقّى من جليد
ما أخبثَ الضباب
يلوكُ نفسَهُ بأسنانِ الفراق
وما بين شَفةِ الضوء
ولسانه
تذوي الرؤيا
تتلاشى...
قصيرٌ عمرُ السواد
مباغتٌ هروبُهُ كَموت...
كانت قد خبأت جدائلها في عُلبةِ الحنّاء
قبلَ أن تُطلقَ لِجَسَدِ الهَذَيانِ كلُّ سيقانِ الخراب...
للخَرابِ يدانِ مَحترفتان
تَسحبانِ المسافةَ من خاصرةِ الأمنية
تعلقان الحلم على مشنقةٍ
يَحتَضِر...
قد تفقدُ صوتها بين استغاثتين
أسمعها كأغنيةٍ نازفةٍ على رُخام
«أينَ انتَ يا مؤجِّجَ النار؟
والجمرُ عصيٌّ على الحطب
على الإشتعال...
اين أنت يا مطر الروح؟
والاسفنج يمتص شفة النهر حتى التلاشي
حتى الإختفاء...
يا عذبَ المذاقِ واللّون
وهمٌّ أن أتمضمضَ بك دون ابتلاعك...
يا حزمة الله في كانون
هرطقةٌ أن أكفرَ بكَ وأنت حطبي
هي شمسٌ أخيرةٌ تحترقُ في مداراتِ الشوقِ
والأزقّةُ خاليةٌ من وسوسات الكبرياء
فتسلل الآن
إلى خيمةٍ بلائي كفجرٍ خجول
لا توقظِ النيامَ في قبيلةِ النسيان
والتقطني من استثناءات النوم
قبل أن يتسبّكَ النهارُ في قدرِ وضوحِهِ...
كن خفيفاً
وانسحب كسحابة
كي لا ألوذ بك
إن سمعت وشوشةَ الهواء

إكتئاب ما بعد الولادة

يتمثل إكتئاب ما بعد الولادة، في النزوع إلى التفكير السلبي، وإحساس بالقنوط، تعاني منه المرأة بعد ولادة طفلها. وبالإضافة إلى الحزن والأحاسيس الخاوية من الحياة، التي تترافق مع الاكتئاب، تخشى النساء اللواتي يعانين من إكتئاب بعد الولادة، من أن يلحق هذا الأمر أضراراً بالطفل بطريقة أو بأخرى، مما يكرس لديهن الإحساس بأنهن أمهات غير صالحات. وينقسم الإكتئاب الذي يصيب النساء بعد الحمل إلى ثلاثة أنواع هي «أسى الأمومة» و«إكتئاب ما بعد الوضع» و«ذهان ما بعد الوضع». تصاب الأم الجديدة بأسى الأمومة خلال اليوم الأول أو الثاني بعد الوضع، وقد يستمر لمدة ثلاثة أسابيع، وهو اضطراب شائع بين الأمهات حديثات العهد، ويعتبر اضطراباً طبيعياً على الرغم من أن الأم لا تشعر أنها طبيعية. فقد تشعر الأم بالراحة للحظة، ثم فجأة قد تنفجر بالبكاء في اللحظة التالية. وبالإضافة إلى الكآبة والإحباط، هناك أعراض أخرى تشمل: فقدان الطاقة وعدم القدرة على النوم، فقدان الشهية والشعور بالتعب بعد النوم والتوتر والقلق الزائد والارتباك والخوف المفرط من التغيرات البدنية وفقدان الثقة.

إكتئاب ما بعد الوضع

هو عبارة عن إضطراب في المزاج، يتمثل في التفكير السلبي والشعور بالخيبة والحزن والقنوط. وبخلاف «أسى الأمومة»، فقد تتأزم هذه الحالة وتستمر لأكثر من شهر بعد الوضع. وتعاني من هذا الإضطراب ما يتراوح بين ١٠ إلى ١٥ بالمائة من النساء بعد الوضع.

وتفقد النساء المصابات المتعة بالأشياء والعادات اللواتي كن يمارسنها. كما تختلف الأعراض من امرأة إلى أخرى، وتشمل أيضاً الإحساس بالتعب والإرهاق الشديد، وفقدان الأمل والعجز وتغيرات في الشهية والتوتر، وصعوبة في التركيز وعدم القدرة على اتخاذ القرارات، وخفقان القلب والنخز، والإحساس بالخدر والفزع، الذي يؤدي إلى نوبات ذعر ورغبة في إيذاء الطفل أو النفس، وعدم الاهتمام بالنظافة الشخصية، والمظهر والهوس بصحة الطفل. كما يختلف إكتئاب ما بعد الوضع من امرأة إلى أخرى، من حيث الشدة. فقد يستمر عند بعض النساء لعدة شهور. وبإمكان الأمهات اللواتي يعانين من اكتئاب ما بعد الوضع المعتدل، الإعتناء بأطفالهن وممارسة نشاطاتهن اليومية، في حين ربما يستحوذ على الأخريات التوتر والقلق، لدرجة يفقدن معها القدرة على الاعتناء بأنفسهن أو أطفالهن.

أسباب إكتئاب ما بعد الحمل

لا يوجد سبب محدد للأزمات العاطفية التي تعاني منها العديد من النساء بعد الوضع، وعلى كل حال، يعتقد الخبراء أن التغيرات السريعة التي تحصل بعد الوضع في مستوى الهرمونين الأنثويين الأستروجين والبروجيستيرون، تؤثر بشكل كبير على الصحة العقلية للمرأة. فالمعروف أن المبيضين والمشيمة، هي التي تفرز البروجيستيرون والاستروجين، لتمكين الرحم من احتضان البويضة الملقحة والحفاظ عليها، ويرتفع مستوى هذين الهرمونين ١٠ أضعاف خلال فترة الحمل، وانخفاض مستواهما بشكل حاد قد يؤدي إلى الإجهاض. وبعد الوضع، ينخفض مستوى البروجيستيرون بشكل كبير، إلى أن يصل إلى ما كان عليه قبل الحمل في غضون ٧٢ ساعة بعد الوضع. ويعتقد الخبراء أن هذا الانخفاض الدراماتيكي في مستوى الهرمونات الأنثوية، يلعب دوراً مهماً في الإكتئاب الذي تصاب به العديد من النساء بعد الوضع.

وخلال فترة الحمل يرتفع مستوى الإندورفينات، وهي مواد طبيعية تعمل على تحسين المزاج، بيد أن مستوى هذه المواد ينخفض بشكل حاد بعد الحمل، الأمر الذي قد يساهم في تعزيز احتمالات الإصابة بالإكتئاب. وبالإضافة إلى هذه التغيرات الفيزيائية، هناك عوامل أخرى ربما تساهم في الإصابة بإكتئاب ما بعد الوضع، وتشمل الحمل الصعب أو الولادة الصعبة والمشاكل الزوجية، والرضيع المتطلب جداً، وإحساس المرأة بأنها لم تعد حاملاً. والواقع أنه لا يمكن تحديد النساء المعرضات للإصابة بإكتئاب ما بعد الوضع من خلال مستوى الهرمونات، ولكن هناك فئات عديدة من النساء أكثر عرضة من غيرهن للإصابة بالمرض، وتشمل النساء اللواتي أصبن بالمرض بعد حمل سابق، والنساء اللواتي شهدن تجربة ولادة عسيرة، والنساء اللواتي سبق أن أصبن بإكتئاب ما قبل الوضع، وكذلك النساء اللواتي أصبن من قبل بإكتئاب لا علاقة له بالحمل، والنساء اللواتي لديهن أم أو أخت عانت من إكتئاب ما بعد الوضع، على اعتبار أن هذه الحالة المرضية تنتقل على ما يبدو بين أفراد العائلة، وبالإضافة إلى ذلك، النساء اللواتي تعرضن لضغوط نفسية نتيجة تغيرات وأحداث مفاجئة في حياتهن، مثل خسارة الوظيفة أو فقدان المنزل أو موت شخص قريب، والنساء اللواتي يعانين مما يسمى متلازمة ما قبل الحيض، الأمر الذي يجعلهن أكثر عرضة للإضطرابات الهرمونية بعد الوضع.

هو 9 هي

البذرة

لبنى الأشقر

قالت له : «هل يمكن لهذا الكائن الصغير في داخلي أن يكون طفلاً، يا الله لو كان طفلاً، سيكون ولداً رائعاً مثلك تماماً»، رمقها بنظرات شاردة تخلو من أية مشاعر.

هل فعلاً يريد معتصم ولداً لكي يصبح ولي العهد، ومن يحمل اسم العائلة؟، عائلة المهندس التي يفتخرون فيها بأنهم ينجبون الذكور فقط، فأخيه محمد لديه خمسة أولاد ذكور، وأخيه أحمد لديه ثلاثة أولاد وبنت، وزوجته تحمل طفلاً ذكراً في أحشائها، وأخته سمية لديها ولدان، وأمه أم المعتصم أسموها في الحارة «أم الذكور»، فقد أنجبت سبعة من الأبناء وبنت واحدة كان هو أكبرهم. أفكار عديدة تتقاذفه كما تلاطم الأمواج على شواطيء حيرته وخوفه، هل يخالف ما يؤمن به، وهو الرجل المتعلم والهاديء، ومن يعتبره أهل حارته وعائلته المفكر والناصح لهم دوماً، هل يخالف معتقداته بأن الأطفال هم نعمة من الله، سواء أكانو ذكوراً أم إناثاً؟ أم يرضخ إلى تلميحات والدته وعائلته، بأن يبحث عن امرأة أخرى تنجب له الذكور. سوسن «بزرتها بنات» كما قالت أمه، عندما انجبت سوسن إبنتها الرابعة، ماذا يعني لو أصبح لدي ست بنات جميلات كأمهن؟ قال معتصم محدثاً نفسه، لماذا يجب أن أنجب ولداً ما دمت أحب زوجتي وبناتي. يشرد بخياله بعيداً لأولى اللحظات التي رأت عيناه فيها سوسن، كانت فتاة رائعة، تمشي في طريقها إلى البيت بعد أن أنهت دوامها الجامعي، مرت بالقرب منه، شعر حينها بأن إشعاعا جذبه لإطالة النظر إلى هذه الفتاة التي تمشي بثقة وكبرياء، أخذ منه الموضوع عدة أشهر، كان يراقب فيها سوسن ويتعرف كل يوم على شيء جميل فيها، فهي طالبة متفوقة في الجامعة، وبنت حنونة وديمنو عائلتها، تحدث إليها، وقليلاً قليلاً أصبح هناك مشاعر حب رائع جمعهما معاً، ليستمر وينعكس على بناته وأسرته، لتصبح أسرة متفاهمة محبة.

أعاده صوت بناته من مشاعر دغدغت جنبات قلبه، وأشعلت فيها الوقود من جديد، بناتي آه آه ، نور الصغيرة هي أجمل بنت في الدنيا، كيف لي أن أيتمها بفقداني بزواجي من أمرأة اخرى؟ كيف سأكون أباها المحب إذا فقدت حناني؟ آه آه وندى، ندى الحنونة التي تبقى ساهرة حتى مجيئي من العمل متأخراً فقط لتقبلني قبل أن تغفو على صدر أمها. كيف لي أن أحرمها من هذه القبلة وهذا الصدر الذي تستريح عليه عند اشتداد حرارتها بعد مرض مفاجيء. ندى آه يا ندى. لكن كيف لي أن أبقى بلا طفل يحمل أسمي بعد وفاتي؟«معتصم ، معتصم، ما بالك لا ترد على حديثي يا حبيبي، بقيت أحدثك منذ ربع ساعة وأنت لم تجبني ولو بكلمة واحدة». نظر معتصم إلى سوسن وقال: «لا شيء مهم يا حبيبتي، بعض الأفكار تراودني لكنها ليست بذي أهمية، إنسي الأمر وقولي لي ماذا تشعرين الآن؟ هل تشعرين بحركات الصغير في داخلك؟، أجابت سوسن مبتسمة: «لا أشعر بحركته، فما زال الوقت مبكراً، فأنا ما زلت في شهري الثالث يا عزيزي، يبدو أنك نسيت ذلك». قال معتصم الشهر القادم نستطيع معرفة جنس المولود يا سوسن، قالت سوسن: إن شاء الله سيكون ولداً ونفرح بقدومه، قال معتصم: «اذا جاء ولداً ساذبح خروفاً على عتبة الدار شكراً لله يا سوسن، ان شاء الله سيكون ولداً لتكتمل سعادتنا». قالت سوسن:» وإذا لم يكن ولداً ماذا سيكون شعورك؟»، قال معتصم: «كل شي من ربنا خير يا سوسن، وخليها على ربنا، الله يجيب اللي فيه الخير».

«معتصم ، معتصم...» أسرع معتصم لرؤية والدته التي وصلت إلى غرفة الصالون في طريقها إلى غرفة نومهم: «أهلاً وسهلاً يا أمي، تفضلي نحن هنا في غرفة النوم، لم تنتظر أم المعتصم الرد من ولدها، فقد وصلت فعلاً إلى باب الغرفة مع نهاية آخر حرف من كلماته». «خير إيش فيك يا سوسن؟ بحكو انك تعبانه؟ مهو حمل البنات متعب مش متل حمل الأولاد أسهل وأيسر». وشددت أم معتصم على حرف الراء، وهي تنظر في عيني سوسن مباشرة. نظرت سوسن إلى معتصم ولم تجب بشيء فقال معتصم: «الحمد لله هلأ سوسن أحسن، ما تخافي أمورها بخير».

أيام طويلة مرت على سوسن وهي تنتظر اللحظة التي ستسرع فيها إلى عيادة الطبيب، كي تعرف جنس مولودها الجديد، دوامة خوف وقلق مستمر تعيشها سوسن، ماذا إن كان المولود أنثى، هل سيبقى زوجي مخلصاً ويتحمل ضغوطات أهله في عدم الزواج علي؟ هل سيصمد حبنا أمام رياح رغبات أهله بطفل ذكر يحمل أسم أبنهم؟ سوسن كانت أضعف من أن تتحمل فكرة ابتعاد معتصم عنها، معتصم الذي أحبته سنتين كاملتين بلياليها ونهاراتها، ليوافق أهله على زواجه منها، سوسن التي تشي نظرات عائلة زوجها بنيران الاتهام لها، بأنها لا تنجب سوى البنات.

انتفضت سوسن محاولة لملمة نفسها واستجماع قوتها للذهاب إلى عيادة الطبيب، فاليوم تصبح في منتصف شهرها الرابع، يمكنها الآن أن تعرف جنس مولودها، «يا ربي لا تحرمني من هذه الفرحة، لن أستطيع أن أعيش بدون معتصم في حياتي، لمن سألجأ عند تعبي، من سيزيل دموعي ويحتضنني بقوة مخففاً عني ألمي، من سيحمل بناتي ويلاعبهن ويحميهن ويربيهن؟ أخذت سوسن تبكي بحرقة وهي تتخيل زواج معتصم بأخرى. انتفضت سوسن على إحساسها بأنامل معتصم تمسح دموعها عن وجهها، وهو يقول لها:»سنكون أقوياء، حتى وإن كانت بنتاً فستكون جميلة ورائعة مثلك يا سوسن»، كلمات معتصم أراحتها قليلاً وأعطتها القوة لتسأل الطبيب ما جنس مولودي؟ وقف الطبيب وهو يزيل القفازات البلاستيكية عن يديه ويرفع نظره إلى وجهها، يفتح شفتيه ويطبقهما، قلبها يخفق بقوة، نبضات قلبها تتسارع، دمها، تشعر بأنه انقطع عن التجول في شرايينها، تحاول رفع عينيها من جديد إلى وجه الطبيب، تحاول الوقوقف، تدور الدنيا في رأسها، لا تقوى على حمل نفسها فتقع على الأرض مغشياً عليها. سوسن .. سوسن، أفيقي يا حبيبتي، أفيقي لتسمعي أجمل خبرٍ، أفيقي، ترفع سوسن رأسها وتسمع كلمات معتصم: «انت حامل بتوأم يا سوسن، ولداً وبنتاً يا حبيبتي»، لم تحتمل وقع الكلمات فسقطت على الأرض من جديد.

بدعم من منظمة التضامن النسائي للتعلم من أجل الحقوق والتنمية والسلام
WOMEN' S LEARNING PARTNERSHIP
FOR RIGHTS, DEVELOPMENT, AND PEACE
WLP

هموم عادية!!؟

امرأة تعشق الورد

بقلم: عطاف يوسف

لم أكن أعرفها شخصياً، لكني سمعت الكثير عنها وعن جمالها وأخلاقها، وعن تهافت طلاب القرب منها، صغيرة كانت، لم تكمل عامها السادس عشر، أخيراً وافق أهلها على تزويجها من أحد المتقدمين لخطبتها، وكان من قرية مجاورة لا تربطها به أية قرابة.

تزوجت سريعاً بعد خطبة دامت أقل من شهر، وأقامت في بيت مع والديّ زوجها، حماتها كانت معروفة بقوة الشخصية، وتوقع الجميع أن تبدأ المشاكل بين الحماة والكنة.

أول ما عملته العروس الجديدة كان زراعة الورود وبعض أشجار الرمان والعناب حول بيتها، مما نال استحسان حماتها، أما والد زوجها فكان طاعناً في السن ومات بعد فترة قصيرة من زواجها.

لدهشة الجميع استطاعت العروس الجديدة كسب ثقة حماتها سريعاً، وتعاملت معها كما تتعامل مع والدتها، وكانت تناديها خالتي، وكانتا لا تفترقان أبداً، تصحبها حماتها معها أينما ذهبت للقيام بالواجبات الاجتماعية في القرية، مما اتاح لها التعرف على الناس بسرعة، وأصبحت محبوبة من الجميع.

سرعان ما ظهرت عليها بوادر الحمل الأول، وعندما علمت حماتها بذلك، أطلقت زغرودة مجلجلة سمعها الجيران، وفرح الجميع، خاصة أن هذا أول حفيد لابنها الوحيد، الذي قضت عمرها في تربيته.

دللت الحماة كنتها أثناء الحمل، فلم تكن تسمح لها بجلب الماء على رأسها من عين البلد البعيدة، وكانت هي تقوم بذلك مستعينة بالحمار، ولم تسمح لها أيضا بجلب الحطب حتى لا تفقد جنينها، وعندما وضعت مولودها لم تسمح لوالدتها بخدمتها كما هي العادة، وأصرت على أن تقوم بخدمتها بنفسها.

قبل أن يكمل ابنها الشهور الستة الأولى من عمره، أعلنت عن حملها الثاني، مما زاد من فرحة حماتها بها، وكانت السعادة ترفرف على البيت، خاصة عندما يأتي زوجها من عمله في الأردن مرة في الشهر، ليقضي معهم بضعة أيام، فتفرح به الزوجة والأم والطفل الصغير.

في إحدى المرات تأخر الزوج عن موعده ولم يحضر، فظن الجميع أنه ربما يكون قد حدث طارئاً ما في العمل، بحيث أنه لم يستطع أخذ إجازته المعتادة، خاصة وأنه كان يعمل في ما كان يسمى حينها قطاع الإنشاءات التابع للحكومة الأردنية، والمسؤول عن شق الطرق.

وبما أن الهاتف لم يكن موجوداً في ذلك الوقت، فلم يستطع أحد الاطمئنان عليه، وما كان عليهم سوى الانتظار لشهر آخر فهو لا بد سيأتي، أنجبت ابنها الثاني وقالت لنفسها سيفرح زوجي كثيراً عندما يأتي ويجد نفسة أنه أصبح أباً لولدين.

مرت الأيام ولم يأت، مما أشعل قلب الأم والزوجة بالقلق، فقررت والدته أن تذهب بنفسها إلى الأردن للإطمئنان، وكانت الهواجس تنهشها، وأحست بأن هناك ما يريب، واعتقدت أن ابنها ربما يكون قد تزوج امرأة أخرى ونسي امرأته وابنه، لكنها عادت تقول لنفسها، أن هذا الأمر مستحيل، فهي شاهدة على حبه لزوجته.

لم يكن من السهل على الأم الوصول لابنها، واستعانت بأحد أقاربها الذي كان يعيش في الأردن منذ العام ١٩٤٨، وعندما وصلت لمكان عمله، فوجئت بأن ابنها في المستشفى منذ ما يقارب الشهرين، بعد أن وقع مغشياً عليه أثناء العمل، لم يكن الطب متقدماً وقتها، ولم يعرف الأطباء إلا بعد فوات الأوان، أنه كان مصاباً بسرطان المعدة، الذي لم يبقه طويلاً فبعد أيام من وصول أمه توفي.عندما توقفت السيارة أمام البيت، هرع معظم أهالي القرية لاستطلاع الخبر، فالسيارات التي تأتي إلى القرية نادرة، لكن الجميع فوجئ بأن الوالدة لم تكن وحدها في السيارة، بل كانت تصطحب معها جثة ابنها.

فجأة وجدت نفسها أرملة، وهي لم تكمل عامها الثامن عشر بعد، وأم لطفلين، أصغرهما لم يكمل شهره الأول، بعد انتهاء عدتها جاء والدها وإخوتها يطلبون منها الذهاب معهم، على أن تترك ولديها لحماتها، لكنها رفضت وظلت سنوات طويلة تقاوم كل الضغوطات لتظل مع ولديها.

ساعدتها حماتها كثيراً بعد أن قطع أهلها صلتهم بها، إلى أن توفيت بعد ذلك بسنوات، لكن كان ولديها قد كبرا.

في ساعات العصر يراها الناس كل يوم تقريباً، تصطحب حشداً من الأطفال الذين هم أحفادها، إلى قطعة أرض اشترتها وزرعتها بالأشجار، وعندما سألت عن علاقتها بكنتيها قالوا لي، تماماً كما كانت تعامل حماتها.

itaf1957@yahoo.com

طاقم شؤون المرأة
للإتصال أو للمراسلة
المشرفة العامة : روز شوملي مصلح
المحررة المسؤولة: لبنى الأشقر
شارع الإرسال – مركز عواد
ص.ب : ٢١٩٧ رام الله
هاتف : ٢٩٨٦٤٩٧ – فاكس: ٢٩٦٤٧٤٦
بريد الكتروني: (watc__media@palnet.com)
الآراء الواردة في الصحيفة تعبر عن رأي اصحابها
تطبع في مطابع الايام